عصمة الأنبياء

بين

اليهودية والمسيحية والإسلام

تأليف
الدكتور/ محمود ماضي

مكتبة المهتدين الإسلامية

هذا الكتـــاب

عصمة الأنبياء !! لماذا ؟

الأنبياء هم حملة الوحى ، قلوبهم أجهزة استقبال الوحي الإلهى التى لو عرض لها أدنى خلل - وهو محال - لفسدت الرسالة وهلكت البشرية .

إنها ليست قضية عاطفية ، بل هى قضية وجود ومصير فى الدنيا والآخرة .

إن بعض المفكرين الذين يعجب بهم بعض الشباب يتطاولون على الرسل وما ذلك إلا لتقويض ثقة الإنسان المسلم فى الكتاب والسنة : مصدرى دينه وعقيدته

ناهيك عن أن تلك الفلسفة فلسفة لا أورية تقوم على ما تسميه ميتافيزيقا العقل وتتعثر تعثراً فاضحاً عند تناول مشكلة التحضر ، وقد أوقعهم في الحرج الشديد ذلك التردى الرهيب للعلمانية والماركسية في أوربا الشرقية .

لو أن المسلمين عرفوا كيف يقدرون النبوة لكان ذلك حصناً منيعاً لهم من تأثير الغزو الفكرى فى عقائدهم ودينهم ،

وهذا الكتاب يذب عن رسل الله الغراء الأمناء ، صفوة خلقه وأتقيائه .

المؤلف

الناشــــر

مكتبة الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

اسكندرية - آخر ترام النزهــة ت : ٤٢٠٢٣٣٣

تطلب جميع منشورتنا من :

مكتبة الفتح الاسلامى

مرسى مطروح - شارع القاضى متفرع من شارع الاسكندرية

بجوار مسجد الفتح الاسلامى « يوسف البرنس » ت : ٩٤٣٩٣١

http://www.al-maktabeh.com

عِصْمَةُ الأَنْبِيَاءِ

بين

اليهودية والمسيحيّة والإسلام

تأليف

الدكتور/ محمود ماضي

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

بســم الله الرّحمـن الرحيـم

﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾
الرعــدة من الآية ١٧

﴿ ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلّا مَرَّتين من الدهر كلتاهما يعصمُني الله منها ﴾

حديث شريف

مكتبة المهتدين الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
اسكندرية ـ آخر ترام النزهة ـ شارع قتال المحمودية
تليفون : ٤٢٠٢٣٣٣
صاحبها ومديرها / يسري محمد عبد الله

http://www.al-maktabeh.com

وبعـد :

أردت بهذا البحث الذب عن رسل الله تعالى صفوة خلقه وأتقيائه ، ومنه نتحدث فيما يجب للنبي وما يستحيل في حقه أو يجوز عليه وما يمتنع أو يصح من الأحوال البشرية أن يضاف إليه .

وتمشيا مع منهجنا في البحث فقد قسمته إلى أربعة فصول :

أجاب الفصل الأول عن مفهوم العصمة وحدودها ومداها :

هل هي منذ البعثة أم قبلها ؟

ما مدى هذه العصمة :هل عن الكبائر فقط أم عن الصغائر أيضاً ؟ هل يجوز على الأنبياء السهو والنسيان ؟

واذا كان المتفق عليه أنهم ما أذنبوا ولم يتعمدوا مخالفة أمر الله فهم معصومون من ذلك كله فكيف يتلاءم ذلك مع ما ورد من آيات في القرآن الكريم يشعر ظاهرها بأنهم أذنبو؟ هذا ما يتناوله الفصل الثاني محللاً وناقداً ومجيباً تحت عنوان : **شبهات حول العصمة** .

أما الثالث فقد تناول موقف اليهود والنصارى من عصمة أنبياء الله تعالى ورد افتراءاتهم وكذبهم عليهم .

من المعروف أن الآية (٥١) من سورة الشورى : **﴿ وما كان لبشر أن يكلمَه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى باذنه ما يشاء انه عَلىٌّ حـكيم ﴾** .

قد حددت وسائل الوحي وطرقه إلى الأنبياء . ففي قوله تعالى **﴿ أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه ما يشاء ﴾** .

إشارة إلى ملك الوحي جبريل ﷺ لذلك تناول الفصل الرابع موضوع عصمة الملائكة وأجاب على التساؤل : إذا كان الملائكة معصومين فميا معنى إمتناع إبليس عن تنفيذ الأمر الإلهي ؟ أم أنه ليس ملكاً ؟ وما معنى تعليم هاروت وماروت الناس السَحر ؟

ثم تناول موضوع المفاضلة بين الملائكة والأنبياء بمعنى : هل الملائكة والأنبياء في

مكتبة المهتدين الإسلامية

الفضل سواء ؟ أم أن أحدهما أفضل من الآخر ؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل التفضيل يكون في الرتبة أم في كثرة الثواب ؟

إن من أثبت دعائم الثقة بالوحي عصمة الأنبياء إنها صمام الأمان بل آكد صمام في وصول الشرائع السماوية إلى بني البشر .

والله وتعالى أسأل التوفيق والتيسير والعون والسـداد .

محمود ماضي

http://www.al-maktabeh.com

مفهوم العصمة وحدودها

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

صفـات الأنبيـاء

أنبياء الله ورسله هم الصفوة الممتازة الذين اصطفاهم الله من بين البشر واختصهم بصفات الكمال الخَلْقية والخُلُقية وجعلهم السفراء الأمناء في حمل الشرع وتبليغه إلى الناس والمتتبع لآيات الله في القرآن الكريم التي تتحدث عن الأنبياء والمرسلين يجدها تصفهم بأسمى الصفات والمواهب العقلية والخلقية والعلمية : كل ذلك يدل على أنهم صفوة الخلق والمثل الكامل للإنسانية ولعظم مهامهم اقتضت حكمة الله تعالى أن يحفظهم بعنايته ويكلأهم برعايته ويربيهم على عينه ، قال تعالى يكلم موسى عليه السلام : ﴿ولتصنع على عيني﴾ وقال للنبي الخاتم عليه السلام : ﴿ فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾ من هنا ذهب معظم الفرق الإسلامية وأهل السنة إلى أنه لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام في الخلقة والأخلاق ما ينفّر كما لا يجوز ذلك في الأفعال . فإذا اعترى النبي « نقص أو ظهر منه كذب لم يجز أن يؤهل للنبوة لعدم آلتها وفقدان أمانتها[1] » .

على أنه يمكن تلخيص ألزم الصفات الواجب إثباتها للرسل في الصدق والأمانة واتباع الحق في أقواله وأفعاله . والذي يجب نفيه عنه الكذب والخيانة واتباع الباطل في أقواله وأفعاله والذي يجوز عليه ما يجوز على البشر من الانتفاع والاستقرار .

ولما كان الصدق والأمانة يتعلقان بالتبليغ أشترط « يحى بن حمزه » الزيدى أن يكون المبعوث منزهاً عن :

١ ــ « الكتمان فيما يتعلق بالتأدية للأمور الدينية والمصالح الشرعية لأن الغرض من بعثته إرشاد الخلق إلى مصالحهم .

٢ ــ الكذب وإلّا جاز ألّا يوثق بجميع ما جاء به من الشريعة .

٣ ــ التحريف والتغيير والبديل في جميع ما يبلغه »[2] .

النبوة إذن تناقض الكذب على الله والنبي لا يكون إلّا أميناً صادقاً ، لأن الصدق إذا كان صنعة ضرورية للبشر فهي للرسل ألزم ولو جاز وقوع الكذب من الأنبياء لما أمكن

---

(١) الماوردى الشافعى : أعلام النبوة ص ١٨

(٢) يحى بن حمزه : الشامل حـ عن د. صبحى : الزيدية ص ٣٤٣ لسنة ١٩٨٠ م

مكتبة المهتدين الإسلامية

الثقة فيما نقلونه من أخبار الوحى لذلك هدد الله تعالى من يكذب ويفتري عليه فيقول عز وجل في حق محمد ﷺ : ﴿ ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ (٣).

يقول صاحب الظلال وهو بصدد هذه الآية : : « ومن النهاية يجيء التهديد الرعيب لمن يفترى على الله في شأن العقيدة وهي الجد الذى لا هوادة فيه ، يجيء لتقرير الاحتمال الواحد الذى لا احتمال غيرهُ، وهو صدق الرسول ومن ثم الرسل جميعاً ــ وأمانته فيما أبلغه اليهم أو يبلغه بشهادة أن الله لم يأخذه خذاً شديداً . كما هو الشأن لو انحرف أقل انحراف عن أمانة البليغ . ومفاد هذا القول ــ الآية السابقة ــ من الناحية التقريرية أنَّ محمداً ﷺ صادقٌ فيما أبلغهم وأنه لو تقوّل بعض الأقاويل لم يوح بها إليه لأخذه الله تعالى على هذا النحو الذى وصفته الآيات ، ولمّا كان هذا لم يقع فهو لابد صادق » . (حـ ٤ ص ٣٦٨٩)

ولما كان المحقق أنه ﷺ هو الذي بلغا القرآن عن ربه وأن نص القرآن شهد بأنه على خلق عظيم ، كما أنه يقول على لسان ربه تعالى أنه مقيد بما يوحى إليه من ربه وأنه لا يجرؤ على تخطى ذلك لا زيادةً ولا نقصاً ولا إغفالاً ولا افتراء : فقال تعالى : ﴿ إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ أنى أخاف إنْ عصيت ربى عذاب يوم عظيم ﴾(٤) .

اى « لا آتى ولا أذر شيئا ... إلا متبعا لوحى الله وأوامره ، ان نسخت آية تبعت النسخ وإن بدلت آية تبعت التبديل وليس لى تبديل ولا نسخ(٥) .

فالأنبياء جميعاً صادقون مؤتمنون على الوحي ، تقول أم المؤمنين عائشة : « لو كان محمد كاتماً شيئاً مما نزل عليه لكتم هذه الآية ﴿وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾(٦،٧) .

أما الصفاتُ الخِلْقية أي الصفات الجسمية . فلا يجوز عليهم ما ينفر عن القبول منهم واجتماع الخلق بهم ، من ظهور البرص والجزام والعمي . أى ينبغي أن يكون المبعوث منزهاً

---

(٣) الحاقه : ٣٣ ــ ٤٦

(٤) يونس : ١٥

(٥) الزمخشرى : الكشاف حـ ١ ص ٤١٩

(٦) الأحزاب : من الآية ٣٧

(٧) ابن كثير تفسير القرآن العظيم حـ ٣ ص ٤٩٠

http://www.al-maktabeh.com

عن أمور تتعلق بخلقته وذلك على وجهين :

الأول : « أن يكون منفراً بكل حال مثل قبح الصورة وشناعة الخِلقة وتشويه الحالة من الأمراض والعلل المنفرة نحو البرص والروائح النتنة وأن يكون منزهاً عن الجنون وخبال العقل .

الثاني : أن يكون منفراً في حال دون حال وهذه أمور ثلاثة :

ا ـــ يكون صغير السن منفراً اذا انضم إليه نقصان العقل وضعف التمييز . فأما إن كان كامل العقل جيد التمييز كان ذلك أعظم في الأعجوبة وأدعى إلى إيمان القوم .

ب ـــ « العمى والصمم اذا كانا مؤثرين في التنفيذ فأما إذا لم يتعلقا بالتنفيذ فلا مانع من تجويزها عليهم »[٨] .

لأن العمى بمنزلة الأمراض ... وذلك لا ينفر لذلك نُزه نبي الله (أيوب) عليه السلام عما بُلغ في مرضه . فانتهاء مرضه إلى حد التنفير غير جائز لأن الأمراض المنفرة غير جائزة على الأنبياء . على ما يقول الرازي في معالم الغيب يقول صاحب (في ظلال القرآن) . « تبالغ الرواياتُ في الضر الذي مس أيوب . حتى تقول : إنه مرض مرضاً منفراً تحاشاه الناس بسببه وطرحوه خارج المدينة ...

وليس وراء القول من سند والرسالة تتنافى مع المرض والظاهر من نصوص القرآن أنه أصيب بالضر في أهله ونفسه ... وفي هذا كفاية للإبتلاء »[٩] .

فما روى عن أيوب من أن جسده تعفن حتى كان الدود يخرج منه وكرهته زوجته . هذا كله من الأكاذيب التي نقلت عن الإسرائيليات ولا يمكن تصديقها لأنها تتنافى مع ما ورد في القرآن الكريم بشأن الأنبياء فلم يذكر القرآن شيئاً عن هذه الافتراءات وإنما ذكر أنه عليه السلام قد أصابه الضر في بدنه[١٠] .

وظاهر قوله تعالى : ﴿ **وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر . وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين** ﴾[١١] . ظاهره أن هذا النوع من الضر

---

(٨) يحى بن حمزة . الشامل حـ ٢ نقلا عن د. صبحى : الزيدية ص ٣٤٤ سنة ١٩٨٠ .

(٩) سيد قطب : فى ظلال القرآن حـ ٤ ص ٢٣٩٢ دار الشروق بيروت

(١٠) الشيخ الصابونى : النبوة والأنبياء ص ٤٨

(١١) الأنبياء : ٨٣

مكتبة المهتدين الإسلامية

يلحق البشر وكذلك الانبياء بهذا الاعتبار . ولا شيء من ذلك يقلل من قدرهم ولأنه متى دل على كونه رسولاً لله تعالى لا يصح عليه ما ينفر عنه وخروجه من أن يلزم قبول قوله فأجسامهم مبرأة من العلل الخبيثة والأمراض المشوهة أو المنفرة .

جـ ــ القراءة والكتابة والشعر إذا كانت معجزته الفصاحة والبيان والبلاغة إذ أن ذلك يقدح فى معجزته ولذا يجب تنزيهه عن الشعر »[١٢] .

ولما كانت معجزة نبينا ﷺ الكبرى القرآن أشار الله تعالى الى نفى القراءة والكتابة عنه بقوله : ﴿ **وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون** ﴾[١٣] .

ونحن بصدد الصفات اللازم توافرها للأنبياء يثور السؤال التالي : هل النبوة وقف على الرجال دون النساء ؟ بمعنى هل نبوة النساء جائزة ؟ وإذا كانت جائزة فهل بعث الله تعالى منهن رسلاً ؟

من المعروف أن الله تعالى لم يبعث رسولاً إلا رجلاً لقوله تعال : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم ...** ﴾[١٤] . فأخبر تعالى أنه لم يرسل إلا رجالاً يوحى إليهم . لم يرسل ملائكة ولا نساء[١٥] . كذلك فان الماتريديه ترفض نبوة النساء لأن الأنوثة تنافى الرسالة . وذلك لأن الرسالة تقتضى الاشتهار بالدعوة والأنوثة توجب الستر . ويتفق الجاحظ مع أصحاب هذا الرأى ، يتضح ذلك حين ينعى على النصارى زعمهم « أن الله بعث من النساء نبيات منهم مريم بنت عمران وحنة وسارى »[١٦] .

وبينما ذهب السلفية والماتريدية والمعتزلة هذا المذهب أجاز بعض الأشاعرة « كالقاضى ابن بكر بن الطيب والقاضى ابن يعلى وأبى المعالى الجويني »[١٧] بعثة بعثة الأنثى.

والذين يجوزون بعثة المرأة يحتجون بوحى الله تعالى إلى مريم ولكن أمر مريم كما يقول الإمام

---

(١٢) يحى بن حمزه : الشامل حـ ٢ نقلا عن د. صبحى : الزيدية ص ٣٤٤

(١٣) العنكبوت : ٤٨

(١٤) يوسف : من الآية ١٠٩

(١٥) ابن تيمية : الجواب الصحيح ــ حـ ٤ ص ٢٥١

(١٦) الجاحظ : الرد على النصارى

(١٧) ابن تيمية : الصفدية ص ٨٢

http://www.al-maktabeh.com

(ابن تيمية) غير الرسالة والنبوة إذ أنها « لم تكن نبية بل غايتها أن تكون صدّيقة »[١٨] .

وإذا كان الملائكة خاطبوها ــ ولا شك فى ذلك ــ فإن ذلك قد يعد من باب الكشف وفى هذا دليل على أن الكشف قد يحدث لغير الأنبياء .

غير أن (ابن حزم) ــ وهو من القائلين بنبوة المرأة ــ رأى الآيات الواردة في هذا الشأن (كالآية ١٠٩ من سورة يوسف) : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً نوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون** ﴾ وكقوله تعالى فى سورة النحل : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً نوحى إليهم** ﴾[١٩] رأى أنها وغيرها تعنى الرسل دون الأنبياء ، تعنى الرسالة دون النبوة ، لذلك فهو يتفق مع أصحاب الرأى السالف في أن الله تعالى لم يرسل امرأة ، وأما النبوة التي هي نقطه « مأخوذة من الإنباء وهو الإعلام ، فمن أعلمه الله عز وجل بما يكون قبل أن يكون أو أوحى إليه منبئاً له بأمر ما فهو نبى بلا شك ... فقد جاء فى القرآن الكريم بأن الله تعالى أرسل الملائكة يبشرون أم إسحق بإسحق ﴿ **وإمرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب ...** ﴾[٢٠] . فهذا خطاب الملائكة لأم إسحق بالبشارة . لها بإسحق ثم يعقوب ... ولا يمكن البتة أن يكون هذا الخطاب من ملَك لغير نبى بوجه من الوجوه »[٢١] . هذا فضلا عن وحى الله تعالى إلى أم موسى « بإلقاء ولدها في اليم وأعلمها أنه سيرده إليها ويجعله نبياً مرسلاً ... فهذه نبوة لا شك فيها ... كالوحى الوارد على إبراهيم فى الرؤيا في ذبح ولده »[٢١] .

كما أرسل الله تعالى « جبريل الى مريم أم عيسى يخاطبها وقال لها ... ﴿ **إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً ذكياً** ﴾[٢٢] فهذه نبوة صحيحة ــ أيضاً ــ بوحى صحيح ــ ورسالة من الله تعالى إليها ... وليس قوله عز وجل (وأمه صدّيقه) بمانع من أن تكون نبية

---

(١٨) أبن تيمية : الصفدية ص ٨٢

(١٩) النحل : ٤٣

(٢٠) هود : ٧١

(٢١) أبن حزم : الفصل ح ٥ ص ١٣

(٢٢) مريم : ١٩

مكتبة المهتدين الإسلامية

فقد قال تعالى ﴿ يوسف أيها الصديق ﴾ وهو مع ذلك نبى رسول »[٢٣] .

ومع وجاهة وقوة ما احتج به ابن حزم يرد سؤال هام هو : إذا كان كل نبى صدّيقاً فهل كل صدّيق نبى ؟ وهل تقدر المرأة على حمل عبء النبوة وما أثقله من حمل يحتاج الى مجاهدة ومصابرة ؟

لقد صدق قول القائل :

وما كانت نبياً قط أنثى ولا عبداً قبيحاً فى الفعال

كما أن الوحى المسند إلى أم موسى إنما هو بمعنى الالهام وهو بمجرده لا يعنى النبوة ولا يستلزمها .

وإذا كانت وظيفة الرسل هى البلاغ ، أى توصيل كلمة الله إلى الناس بالفعل والإقرار الى ما فيه النفع فى الدارين ، كان لزاماً أن يكونوا قدوة حسنة فى كل ما يصدر عنهم وأن لا ينطقوا إلا بكلمة السماء ولن يكون كذلك إلا بالعصمة الباطنية من الحقد والغل والكبرياء والحسد والرياء ...

والعصمة الظاهرية من الذنوب مثل : الشرك والكذب وشرب الخمر والزنا ... لأن الله تعالى بما نصبه كالواسطة بينه وبين الأمة لأداء ما حمله من الشريعة واختاره لهذا الأمر واصطفاه فلابد من أن يجنبه ما يقدح فى الأمر الذي نصبه له أو ينفر عنه .

لذلك يقتضينا الأمر بتحديد معنى العصمة والغاية منها .

معنى العصمة :

العصمة فى اللغة « المنع . عصمه الله عبداً : أن يعصمه مما يوبقه . وعصمه يعصمه عصماً . منعه ووقاه . وفى التنزيل (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) أى لا معصوم ألاّ من رحم وفى قوله تعالى ﴿ قال ساوى إلى جبل يعصمنى من الماء ﴾ أى يمنعنى من الماء . والعصمة . الحفظ . يقال : عصمته فانعصم . واعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية . وعصمه الطعام : منعه من الجوع »[٢٤] .

---

(٢٣) ابن حزم : المصدر السابق

(٢٤) أبن منظور : لسان العرب حـ ٣٣ ص ٢٩٧٦ ــ ٢٩٧٩

http://www.al-maktabeh.com

ويوسفُ عليه السلام حين راودته امرأة العزيز « (فاستعصم) أى فأبى عليها ولم يجبها إلى ما طلبت ... وفى الحديث « ... فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم . وفى حديث الإفك : فعصمها الله بالورع »(٢٤) .

أما معناها العرفى فهو القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية على ما يقوله الأشاعرة . بينما هو عند الزيدية « عبارة عن لطف يقع معه الملطوف فيه لا محالة حتى يكون المرء معه كالمدفوع الى أن لا يرتكب الكبائر ولهذا لا يطلق إلاَّ على الانبياء »(٢٥) . أما المعتزلة فيعرفونها بأنها لطف من الله تعالى على المكلف لا يكون له داع الى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك بمعنى أن لا ينتهى إلى حد الالجاء وطبقا لهذا التعريف فالأنبياء ليسوا مجبورين بل يعنى أن استعدادهم كامل فى التمييز بين الخير والشر واستدل أصحاب هذا الرأى ــ الأخير ــ على ما ذهبوا اليه بوجهين :

الأول : انعقاد الإجماع على أن الأنبياء مكلفون بترك الذنوب مثابون به ولو كان الذنب ممتنعاً عنهم لما كان الأمر كذلك إذ لا تكليف بذلك الممتنع ولا ثواب عليه . ولا يخفى ما يعنيه « صاحب المواقف » بإثبات تكليف الأنبياء ، فقد رام الرد على « الشيعة فى دعواهم أن العصمة بمعنى كون المعصية ممتنعة عليهم يوجب النور الالهى لا إمتناعاً منهم »(٢٦) .

الثانى : قوله تعالى ﴿ **إنما أنا بشر مثلكم** ﴾(٢٧) . على كل حال فإنهم رأوا أن العصمة تقتضى أربعة أشياء :

أولها : أن يكون لنفس الإنسان ملكة مانعة من الفجور داعية إلى العفة .

ثانيها : العلم بمثالب المعصية ومناقب الطاعة .

ثالثها : تأكيد ذلك العلم بالوحى والبيان من الله .

رابعها : أنه متى صدر عنه خطأ من باب النسيان والسهو لم يترك مهملاً بل يعاقب وينبه ويضيق عليه العذر من الله تعالى » .

فمتى اجتمعت هذه الأوصاف الأربعة ــ فى رأى ابن أبى الحديد والرازى ــ كان

---

(٢٥) القاضى عبد الجبار شرح الأصول الخمسة ص ٧٨٠

(٢٦) د. صبحى فى علم الكلام ص ٨٢٥

(٢٧) الكهف من الآيه ١١٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

الشخص معصوماً من المعاصي ولم تتوفر إلا للأنبياء من حيث نزول الوحى عليهم . ولكن غلاة الشيعة سحبوها على الأئمة . يقول الجيلانى : « المعصوم بالاتفاق لا يكون إلا للأنبياء والأوصياء .

ثم اختلفوا بعد ذلك فى المعصوم . من يكون ؟ فذهب فريق إلى أنه « هو الذى لا يمكن الاتيان بالمعاصي »[٢٨] وقال فريق آخر بل « هو المختص فى بدنه أو فى نفسه بخاصية تقتضى امتناع إقدامه على المعاصى »[٢٨] وقال ثالث بل هو مساوٍ « لغيره فى الخواص البدنية »[٢٨] ويقتضى الرأى الأول والثانى يكون الأنبياء ملجئين إلى ترك المعاصى ولا حيلة لهم فى إتيانها أو تركها .

من يفعل العصمة بالمعصوم ؟

وتقضى بنا هذه التعريفات إلى السؤال عمن يفعل العصمة بالمعصوم ؟ هل يفعلها الله تعالى بالنبى أم أن النبى يفعلها على اعتبار أنه مكلف مختار ؟

إختلفت الفرق الإسلامية فى فاعل العصمة على مذاهب ثلاثة :

المذهب الأول :

إن فاعلها هو الله تعالى. واليه ذهبت الاشاعرة استناداً الى ما تقتضيه أصلهم « من استناد الأشياء إلى الفاعل المختار ابتداء ، أن لا يخلق الله فيهم ذنباً »[٢٩] ووافقهم الزيدية والإمامية فعندهم أن الله تعالى هو المتولى للعصمة وأنه الفاعل لها ... لقوله تعالى : ﴿ **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً** ﴾[٣٠] . أى أن الله يخلقه نقياً مبرءاً من الذنوب . وأصحاب هذا المذهب مختلفون فى كيفية فعل الله تعالى للعصمة بالمعصوم وذلك على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : كيف

أن الله تعالى يمنعهم فعل القبائح والإخلال بالواجبات بأن ثبتهم على بينة التقوى والطهارة ويكون امتناعهم بنفس البينة فلا يكون لهم داع إلى القبائح وقد سبق المعتزلة

---

(٢٨) الرازى : محصل افكار المتقدمين ص ١٥٨ ــ ١٥٩

(٢٩) الايجى : شرح المواقف جـ ٢ ص ٤٣٧

(٣٠) الإسراء : ٧٤

http://www.al-maktabeh.com

والايجى رد هذا الرأى وأنهم بذلك لا يستحقون مدحاً ولا ذماً .

الوجه الثاني :

أن الله يصرفهم عن المعاصى والقبائح بطريقة الالجاء ولا يختلف هذا الرأى عن سابقه فالأنبياء عندهما مجبولون مجبورون .

الوجه الثالث :

وهو قول جمهور الزيدية والمعتزلة ، أصحاب نظرية اللطف الإلهي ، فقالوا : إن الله يلطف بهم بألطاف خفية عن مواقعة القبائح على وجه لولاه لما امتنعوا عن مواقعتها وفعلها .

يبدو الفارق بين هذه الأوجه الثلاثة دقيق ، حيث لا فرق كبير بين المنع والصرف واللطف ، اللهم إلا قول أصحاب الرأى الأول والثانى بالإلجاء بينما اشترط المعتزله أن لا ينتهى فعل ذلك الى حد الإلجاء .

المذهب الثاني :

« أن العصمة من الأنبياء أنفسهم ، فمعنى قولنا أن النبى معصوم أن الله أخبر عن كونه معصوماً »[٣١] ويتم ذلك بأحد وجهين :

أحدهما : « إما أن يمتنع النبى عن مواقعة المعاصى باختيار من نفسه من غير أمر من جهة الله تعالى »[٣٢] .

الثاني : « أن يمتنع عن فعل القبيح بنفسه أيضاً لكنه لا يستغنى عن معونة الله تعالى »[٣٢] .

المذهب الثالث :

فيمن يفعل العصمة :

« أنها من جهة الله ومن جهة الأنبياء معاً »[٣٢] .

العصمة من جهة النبى ﷺ إصراره على الإستقامة ، ومن جهة الله تعالى استجابة

---

(٣١) يحيى بن حمزة : الشامل نقلا عن د. صبحى : الزيدية ص ٣٤٦ سنه ١٩٨٠

(٣٢) يحيى بن حمزة : الشامل نقلا عن د. صبحى : الزيدية ص ٣٤٦ سنه ١٩٨٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

لرجاء عبده ورسوله ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

ويمكن القول بأن عصمة الله تعالى لكل عبد من عباده إنما تأتى على ذات قدر علم الله بمضاء عزمه على الاستقامة لأنه : وما توفيق أى إنسان إلا بالله . والأنبياء وحدهم هم الذين يمكن الجزم بتمام عزمهم ولذا أمدهم الله بتمام توفيقه .

هل العصمة قبل البعثة أم بعدها ؟

نأتى بعد ذلك إلى سؤال هام : هل الأنبياء معصومون قبل البعثة وبعدها أم بعد البعثة فقط ؟ وهل تكون العصمة عن الكبائر فقط أم عن الكبائر والصغائر من الذنوب ؟ أم لا يجب القول بالعصمة إلا فى التبليغ فقط ؟ وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل البعثة ؟

لعلماء أصول الدين مواقف متعددة إلا أنهم يجتمعون على أن الأنبياء « معصومون عن الكفر والبدعة إلا الفضيلية من الخوارج فانهم يجوزون الكفر على الأنبياء ﷺ »[٣٣] ترتيباً على اطلاقهم الكفر على كل معصية وجوز بعض الروافض اظهار الكفر تقية إذا كان إظهار الإسلام مفضيا الى إزهاق النفس .

أما غير الكفر ، فإما أن يكون كبائر أو صغائر وكل منهما أما أن يصدر عمداً وإما أن يصدر سهواً . فالأقسام أربعة وكل منها إما قبل البعثة أو بعدها .

إذا كان علماء التوحيد اجتمعوا على تنزيههم من المنفرات فهل إقدامه على الكبائر قبل النبوة ينفر ويؤثر ؟

لقد اختلفوا فى عصمتهم قبل بعثتهم ، فمنعها فريق وجوزها فريق .

الأنبياء معصومون قبل البعثة :

قرر هذا الفريق من علماء التوحيد أن العصمة واجبة لرسل الله كافة ، فلا يليق أن تصدر عن أحدهم كبيرة لا قبل البعثة ولا بعدها ، فمنع جمهور المعتزلة والزيدية وجميع الشيعة والظاهرية صدور الكبائر والصغائر المستخفة من الأنبياء قبل بعثتهم لأن « الله تعالى عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة فدخل فى ذلك السرقة والعدوان والقسوة

(٣٣) الرازى : عصمة الأنبياء ص ١٥ الطبعة الثانية ١٣٩١ ــ ١٩٧٧

http://www.al-maktabeh.com

والزنا واللياطه والبغى »[٣٤] وذلك لأن مواقعة « الكبائر والأمور المستخفة قبل النبوة أعظم من التنفير مما جنب الله سبحانه لأجل التنفير فكيف يصح تجويز ذلك على الأنبياء ؟ »[٣٥].

فضلاً عن أن السلوك الشخصى للمبعوث ــ ولو قبل البعثة ــ يؤثر على دعوته والسكون إليه فلابد أن يكون منزهاً عن ارتكاب الفواحش حتى لا يكون ثمة مطعن فى رسالته ودعوته .

فمثلاً لا يكون حال الواعظ الداعى الى الله تعالى ونحن نعرفه مقارفاً للكبائر مرتكباً للذنوب وإن كان قد فارق جميع ذلك وتاب منه عندنا وفى نفوسنا كحال من لم نعهد فيه إلا النزاهة والطهارة ، ومعلوم ضرورة الفرق بين هذين الرجلين فيما يقتضى السكون والنفور .

ومع إنكار هذا الفريق مواقعة الأنبياء للكبائر قبل البعثة ، فإن ذلك إن حدث يكون منفراً ، إلا أنهم لا يعنون أن هذه الأمور منفرة لدرجة أن لا يقع القبول ، ولكنها ــ كما يقول عبد الجبار المعتزلى ــ كالذى يدعوا غيره إلى طعامه ثم قطب وجهه وخشن قوله فان ذلك ينفر عن إجابته وأكل طعامه وإن كان المدعو قد يأكل لشدة جوعه أو لبعض الأغراض .

عصمتهم إذن قبل النبوة والرسالة واجبة من باب الارهاصات ومقدمات النبوة ودلائلها للنبوة يصطفون لها اصطفاء ــ كما سبق القول ــ لذلك جنب الله رسله كل ما يتفر عنهم .

يدلك (ابن حزم) على صحة هذا المعتقد ، فيقول : إن تجويز المعصية على الأنبياء قبل البعثة لا يخلو من وجهين :

أحدهما : أن يكون متعبداً بشريعة نبى أتى قبله كما كان عيسى عليه السلام .

ثانيهما : أن يكون قد نشأ فى قوم قد درست شريعتهم كما فى بعثة محمد عليه السلام .

فان كان النبى متعبداً بشريعة ما ، فقد ابطلنا آنفاً أن يكون نبى يعصى ربه أصلاً . وإن كان نشأ فى قوم دثرت شريعتهم فهو غير متعبد ولا مأمور بما لم يأته أمر الله تعالى به

---

(٣٤) ابن حزم الفصل جـ ٤ ص ٢٥ والاشعرى مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ٢٧٢

(٣٥) القاضى عبد الجبار المغنى جـ ١٥ ص ٣٠٧

مكتبة المهتدين الإسلامية

فليس عاصياً لله تعالى »[٣٦] .

أى أن المعاصى على هذا غير موجودة ولا معتبرة فى حقه حينئذ إذ الاحكام الشرعية إنما تتعلق بالأوامر والنواهى وتقرير الشرعية . على ما يقوله القاضى عياض فى الشفاء .

وفى تلخيص كلام ابن حزم الاندلسى يمكن أن نستنتج :

أولاً : أن عصمة النبى من المسلمات ـــ قبل بعثته ـــ إذا كان قد كلف بشرع رسول سابق .

ثانياً : أن العصمة غير ذات موضوع فى حق من لم يكلف مطلقاً بشرع لأن المعاصى بعد ورود الشرع والتكليف . هذا ما عناه ابن حزم وإن خالفه أصحاب التكليف العقلى .

فضلاً عن أن النبى الذى يعيش فى قوم درست شريعتهم فانه لا يكون من اللائق ـــ باعتبار ما سيكون ـــ من رسالته التى يعلم الله حسنها أن يأتى من الأفعال ما يصادمها ـــ لأن رسالة الله إليه هى مقتضى الفطرة وكل مخالفة لها هى خروج على الفطرة السليمة حتى ولو كان ذلك سابقا على الرسالة .

ولكن قد يقال : إن الكبائر فى شريعة نبى متقدم قد تكون مباحة فى شريعة نبى لاحق ، فكيف تكون منفرة ؟

أجاب المعتزلة بأن الفعل لا يكون منفراً لجنسه وأحواله وانما كان منفراً لأنه يوجب فى مرتكبه استحقاق العقاب والاهانة والاستخفاف ويوجب فيه الذم والنقص ما يقتضى التنفير عنه فالوجه الذى ينفر إذا تغير تغير حكمه ... فأما إذا كان حاله مستمراً لم يجز أن يتغير حكمه[٣٧] .

أما الأمامية فقد رأوا أن رسل الله معصومون عن الكبائر والصغائر مطلقا قبل البعثة وبعدها فلا يقع منهم الذنوب لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل القصد ولا على سبيل السهو ولا على التأويل والخطأ . حتى بالغوا فحددوا وقت العصمة بأنه من أول العمر إلى آخره ، فقالوا إن المعتبر فى المعصوم بما هو معصوم ... ثلاثة أشياء . وهذه الأوصاف لا توجد فى

---

(٣٦) ابن حزم مصدر سابق

(٣٧) القاضى عبد الجبار مصدر سابق ص ٣٠٨ ، ٣٠٩

http://www.al-maktabeh.com

غيرها .

الأول : العصمة عن المعصية كلها صغيرة أو كبيرة من أول العمر الى آخره .

الثاني : العصمة عن الخطأ .

الثالث : العصمة عن السهو والنسيان .

واحتج هؤلاء بما نقل عن رسول الله ﷺ « ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به الا مرتين من الدهر كلتاهما يعصمني الله منها »[٣٨] وبقوله تعالى ﴿ **ولتصنع على عيني** ﴾[٣٩] ففي ذلك دليل على أن الله رعاهم منذ الصغر وجعلهم سبحانه من المصطفين الأخيار كما في قوله تعالى : ﴿ **وأنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار** ﴾[٤٠] فلابد إذن أن يكونوا معصومين ومحفوظين قبل البنوة وبعدها .

خلاصة هذا أن المبعوث منزه عن المنفرات كلها كبيرة كانت أو صغيرة لأن الغرض من البعثة اللطف بالعباد ومراعاة مصالحهم من هنا ثبت أنه لا يجوز على الأنبياء الكبيرة لا قبل البعثة ولا بعدها أما الصغائر فان كانت مشعرة بخسة أو تؤدي الى نفور كسرقة دينار أو تطفيف كيل مثلا فهم معصومون منها قبل البعثة وبعدها عمداً أو سهواً وبذلك يكون المعتزلة متوافقين مع قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين وقولهم بالتكليف العقلي الذي يوجب على الأنبياء الحيطة والحذر فهما من موجبات العقل .

أما أهل السنة فالصواب عندهم : أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان[٤١] .

العصمة بعد البعثة :

أما حكمها عند هذا الفريق من أهل الكلام فلا خلاف أن الكفر عليهم غير جائز بعد النبوة . وأما المعاصي فلا خلاف ــ أيضاً ــ أنهم معصومون من كل كبيرة عدا الحشويه فقد جوزوا عليهم « الاقدام على الكبائر والصغائر »[٤٢] .

---

(٣٨) ابن كثير السيرة النبوية حـ ١ ص ٢٥٢

(٣٩) طه : من الآية ٣٩

(٤٠) ص ٤٧

(٤١) القاضي عياض الشفا بتعريف حقوق المصطفى حـ ٢ ص ١٠٩

(٤٢) الرازي عصمة الأنبياء ص ١٦

مكتبة المهتدين الإسلامية

وامتناع الكبائر عنهم عمداً مستفاد من السمع ... وقالت المعتزلة بناء على أصولهم في التحسين والتقبيح العقلين ووجوب رعاية الأصلح يمتنع ذلك عقلاً لأن صدور الكبائر عنهم عمداً يوجب سقوط هيبتهم عن القلوب وانحطاط رتبتهم فى أعين الناس . غير أن العصمة عند أهل السنة بعد البعثة من سائر الكبائر لا قبلها وعن الصغائر عمداً إلا الصغائر غير المنفرة مع التنبيه ، وتنبيه الناس عليها لئلا يقتدى بهم فيها ، من ناحية أخرى يتفق أهل السنة والمعتزلة والنجارية والخوارج والشيعة والظاهرية على أن كل ما كان طريقه الابلاغ في القول فهم معصومون فيه . فالنبي إذا قصد إلى الأداء عن الله عز وجل والاخبار عنه بما أمره بأدائه إلى خلقه وبإخبارهم أياه فليس يجوز عليه الغلط والخطأ فى ذلك لأن الله قد أوجب على الخلق طاعته فيما أمرهم به وتصديقه فلم يكن جل ثناؤه ليأمرهم بتصديق من يجوز عليه خطأ ولا بطاعة من لا يؤمن منه الغلط وقد بالغ المعتزلة في منع السهو والغلط ــ عن النبي ــ فيما يؤديه عن الله تعالى ... ولا فرق بين أن يسهو ويغلط أو أن يكتم أو يكذب فمحال ، الكل يتفق في ذلك . ولا يمكن أن يقال أن النبى قد سها فى الصلاة لأن هذا جائز في فعل قد بينه من قبل وأدى ما يلزم فيه .

لقد تم إجماع المسلمين على أنه لا يجوز على النبي خُلْف في الفعل إبلاغ الشريعة والاعلام بما أخبر من ربه وما أوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضا والسخط والصحة والمرض ، فقد جاء في حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله : أأكتب كل ما أسمع منك ؟ قال : نعم . قلت : من الرضى والغضب ؟ قال : نعم فانى لا أقول من ذلك كله إلا حقاً .

أما الصغائر وعصمتهم منها فالتي تزري بفاعلها وتحط منزلته وتسقط مروءته ، وما يجوز منها فبشرطين :

الأول : « ألا تكون الصغيرة متعلقة بالتبليغ والتأدية لله » .

الثاني : ألا تكون الصغيرة مستخفة لقدره محطة من شأنه نحو سرقة بصلة أو تطفيف حبه[٤٣] . فهذه الأمور وإن كانت صغائر فانه لا يجوز صدورها عنهم[٤٤] .

أى أن عصمتهم من الصغائر الغير منفرة غير واجب لأنهم فيها كسائر البشر ولأنها تخل

---

(٤٣) الحبة : صنجة تزن مائة حبة خردل وهي جزء من ستين من المثقال .

(٤٤) يحيى بن حمزة [illegible] ص ٣٤٤

http://www.al-maktabeh.com

محل الاقلال من النوافل .

ولو صدر عن النبي معصية يُحد عليها فلا يجب الجزم بخطئه ولكن يقطع « بصغر الذنب وقد لا يعد خطأ لعدم علمنا بوجه اباحته له كما فعل الخضر في خرق السفينة وقتل الغلام »(٤٥) .

وذهب جماعة من هذا الفريق إلى أن عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر ذلك أن النبوة منصب يحل من مواقفها ويسمو بهم عن مخالفة الله تعالى عمداً فذهب جماعة من المعتزلة منهم النظام والجاحظ والأصم وكثير من الزيدية والأشاعرة إلى تجويز « أن تقع منهم الصغائر عن سهو أو غفلة »(٤٦) . والسهو والغفلة ليس معصية لأن حال « السهو مكلف وهو غير جائز لأنه تكليف ما لا يطاق أو لا يبقى مكلفاً وحينئذ لا يكون معصية »(٤٧) وهذا كله بعد الوحى والاتصاف بالنبوة وسوف نجد ــ بعد قليل ــ هذا الفريق يتأول الآيات والأحاديث الواردة في ذلك وأن ما ورد عنهم إنما هو فيما كان منهم على تأويل أو سهو ــ والسهو ليس معصية عندهم ــ فتأويل ما كان من (آدم) عليه السلام بأنه نهى عن جنس الشجرة دون عينها فتأول فظن أن النهى يتناول العين فلم يقدم على المعصية .

ثم رتبوا على ذلك « أن ذنوب الأنبياء لا تكون عمداً وإنما يقدمون عليها تأولاً »(٤٨) .

ولكن السؤال الذي يثور الآن : هل يأتي النبي الصغيرة وهو يعلم أن ما يأتيه معصية في حال ارتكابها ؟

يقرر ابن حزم في « الفصل » وجمهور المعتزلة أن ما تكون عن عمد وذكر فهذه معصية على الحقيقة لأن فاعلها قاصد الى المعصية وهو يدري أنها معصية لذلك قالوا « لا يجوز أن يعلم في حال إرتكابه المعاصى أن ما يأتيه معصية ويتعمد ذلك »(٤٩) لأن من أقدم على المحرم مع علمه بأنه محرم فلا بد من تقصى في حاله يقتضى التنفير عنه ولكن قد يأتي النبي غير ما أمر الله به « وهو يتناول في ذلك الخير وهو لا يدري أنه عاصى بذلك بل يظن أنه

---

(٤٥) ابن المرتضى : القلائد عن د. صبحى : الزيدية ص ٤٥٥

(٤٦) الحاكم الحشمى : شرح عيون المسائل عن د. صبحى الزيدية ص ٢٨٥

(٤٧) الرازى : محصل ص ١٦١

(٤٨) المرتضى المصدر السابق د. صبحى : فى علم الكلام ص ٧٦٦

(٤٩) الاشعرى مقالات جـ ١ ص ٢٧٢ مكتبة النهضة المصرية ١٣٦٩ هـ

مكتبة المهتدين الإسلامية

يطيع الله تعالى ومع ذلك فهم يؤاخذون به إذا وقع منهم »[٥٠] مع إن هذه الذنوب موضوعة عن غيرهم . وهم يؤاخذون بها لأن معرفتهم أقوى وولائهم أكثر وأنهم يقدرون من التحفظ مالا يقدر عليه غيرهم فهى — كما يروى — بالنسبة الى غيرهم حسنات وفى حقهم سيئات ولقد أحسن الجنيد حين قال : حسنات الابرار سيئات المقربين . فقد يؤاخذ الوزير مما يؤجر عليه الأجير .

على أية حال وجد من يجوز الذنب على الأنبياء محتجاً بقوله تعالى : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً ﴾ (الانبياء — ٨٧) .

ذلك من وجوه : أحدهما : أنه ذهب مغاضباً لربه . فيلزم أن مغاضبته لله تعالى من أعظم الذنوب . ثم على تقدير أن هذه المغاضبة لم تكن مع الله تعال بل كانت مع الملك أو مع القوم فهو أيضاً كان محظوراً لأن الله تعالى قال ﴿ **فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت** ﴾ وذلك يقتضى أن ذلك الفعل من يونس عليه السلام كان محظوراً .

ويدفع فخر الدين الرازي في التفسير الكبير هذا الاتهام اذ ليس من الآية من غاضبه ، ثم يقطع — أى الرازي — على أنه لا يجوز على نبى الله أن يغاضب ربه لأن ذلك صفة من يجهل كون الله مالكا للأمر والنهى والجاهل بالله لا يكون مؤمناً فضلاً عن أن يكون نبياً وما ذهب إليه الرازي هو الأصوب .

أدلة وجوب العصمة :

ثم يسوق أهل التوحيد حججاً يستدلون بها على عصمة الأنبياء ، من ذلك ما هو نقلى ومنها ما هو عقلى .

أولاً الأدلة النقلية :

الدليل الأول :

قوله تعالى ﴿ **وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة** ﴾[٥١] ... وقوله تعالى ﴿ **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة**

---

(٥٠) ابن حزم المصدر السابق

(٥١) آل عمران من الآية ١٦١

http://www.al-maktabeh.com

ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ﴾[٥٢] . وعند هاتين الآيتين يقول ابن حزم : وبذلك يكون الله « قد نفى عن الأنبياء عليهم السلام الغلول والكفر والتجبر كما أنه لا خلاف بين أحد من الأمة في أن حكم الغلول كحكم سائر الذنوب. ... وأن من جوَّز على الأنبياء شيئاً من تعمد الذنوب جوَّز عليهم الغلول ومن نفى عنهم الغلول نفى عنهم سائر الذنوب ، وقد صح نفى الغلول عنهم بكلام الله تعالى فوجب انتفاء وتعمد الذنوب عنهم »[٥٣] .

الدليل الثاني :

قوله تعالى : ﴿ وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾[٥٤] **قالوا : الآية تدل على العصمة من وجهين :**

الأول : « ثبت أن المراد من هذا العهد الأمامة ولا شك أن كل نبي إمام فان الإمام هو الذي يؤتم به والنبي أولى الناس ، وإذا دلت الآية على أن الإمام لا يكون فاسقاً فاعلاً للذنوب والمعصية أولى »[٥٥] .

الثاني : هذا العهد الذي طلبه إبراهيم عليه السلام لذريته « إن كان هو النبوة وجب أن لا ينالها أحد من الظالمين وإن كان هو الإمامة فكذلك لأن كل نبي لابد وأن يكون إماماً يؤتم به . وكل فاسق ظالم لنفسه فوجب أن لا تكون النبوة لأحد من الفاسقين »[٥٥] .

الدليل الثالث :

لو صدر الذنب عن الأنبياء « لكان حالهم في استحقاق الذم عاجلاً والعقاب آجلاً أشد من حال عصاة الأمة كما أن أعظم نعم الله على العباد هي نعمة الرسالة والنبوة وكل من كانت نعم الله عليه أكثر كان صدور الذنب عنه أفحش يؤكد ذلك قوله تعالى : **﴿ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ﴾**[٥٦] . وقوله : **﴿ يا نساء النبي من يأت**

(٥٢) آل عمران : من الآية ٧٩

(٥٣) ابن حزم : الفصل حـ ٤ ص ٢٠

(٥٤) البقرة : ١٢٤

(٥٥) الرازى ص التفسير الكبير حـ ٤ ص ٤٣ الطبرسى : مجمع البيان في تفسير القرآن حـ ١ ص ٨٥

(٥٦) الأحزاب : ٣٢ ، ٣٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ﴾[٥٧] .

الدليل الرابع :

ثناء الله تعالى عليهم وخصهم بالتعظيم في قوله تعالى ، : ﴿ **أنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين** ﴾[٥٨] . وكذلك قوله : ﴿ **وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات** ﴾[٥٨] .

الدليل الخامس :

قوله ﷺ : ﴿ **ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين** ﴾ فنفى ﷺ عن جميع الأنبياء أن تكون لهم خائنة الأعين وهو أخف ما يكون من الذنوب ومن خلاف الظاهر للباطن فدخل فى هذا جميع المعاصى صغيرها وكبيرها سرها وجهرها ،[٥٩] ثم قوله ﷺ ﴿ **ما هممت بقبيح مما هم به أهل الجاهلية الا مرتين من الدهر وكلتاهما عصمني الله عز وجل منهما** ﴾ ومن ذلك دلالة على العصمة قبل النبوة .

ثانياً الأدلة العقلية :

الأول : إن العلم المعجز يقع موقع التصديق لمدعى النبوة والرسالة وجارياً مجرى قوله تعالى له : **صدقت في أنك رسولي ومؤدٍ عني** فلا بد من أنه يكون هذا المعجز مانعاً من كذبه على الله سبحانه فيما يؤديه عنه لأنه تعالى لا يجوز أن يصدق الكذاب لأن تصديق الكذاب قبيح[٦٠] .

الثاني : من المعلوم أن التأسى بالرسل واجب ، وذلك لا يجوز إلا من تجويز كون الأفعال غير ذنوب ،[٦١] وقد قال تعالى فى حق نبينا ﷺ : ﴿ **قل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾[٦٢] . فلو أتى بالمعصية لوجب علينا بحكم هذه النصوص متابعته في فعل ذلك الذنب وهذا باطل لأنه لو جاز ذلك لكان الله عز

---

(٥٧) الرازى عصمة الأنبياء ص ١٨

(٥٨) الأنبياء ٧٣

(٥٩) [illegible] ٢٢

(٦٠) القاضى [illegible] ٣ ص ١٢٤

(٦١) [illegible] ٢ ص ٣٣٧

(٦٢) [illegible]

http://www.al-maktabeh.com

وجل قد حضنا على المعاصي وندبنا الى الذنوب وهذا كفر مجرد . والعقل والمنطق يقضيان بالعصمة ، إذ كيف يأمر الله تعالى البشر إتباعهم والاقتداء بهم إن لم يكونوا مثالاً للكمال فلو لم تكن العصمة من صفاتهم اللازمة لما كنا مكلفين باتباعهم في جميع أفعالهم وأقوالهم .

الثالث : لما كان الأنبياء أفضل من الملائكة عند بعض المتكلمين كالأشاعرة وبعض لما كان الأنبياء أفضل من الملائكة ـــ عند بعض المتكلمين كالأشاعرة وبعض صدرت الذنوب عن الأنبياء لامتنع أن يكونوا زائدين في الفضل على الملائكة »[٦٣] .

الرابع : من المعلوم أن الكبيرة تبطل شهادة فاعلها ومن تبطل شهادته أولى أن يوثق من دعوته ذلك أن ارتكاب الكبائر مسقط للعدالة أى أنهم لو صدرت منهم الذنوب لكانوا فاسقين والفاسق تبطل شهادته وهذا محال على الأنبياء .

الخامس: يقول الله تعالى : ﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين ﴾[٦٤] .

فهؤلاء الذين لم يتبعوا إبليس إما أن يقال : أنهم الأنبياء أو غيرهم . فإن كانوا غيرهم لزم أن يكونوا أفضل منهم لقوله تعالى: ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[٦٥] .

وتفضيل غير النبي على النبي باطل بالاجماع . فوجب القطع بأن أولئك الذين لم يتبعوا إبليس هم الأنبياء ﷺ وكل من أذنب فقد اتبع ابليس فدل هذا على أن الأنبياء ﷺ ما أذنبوا »[٦٦] .

إذن يتضح من أقوال المتكلمين والمفسرين أن الأنبياء ما أذنبوا ولم يتعمدوا مخالفة أمر الله عز وجل .

وأن الصحيح من مذهب أهل السنة تنزيه الأنبياء عن الكبائر والصغائر جميعاً وتتبع الآيات

---

(٦٣) الرازى عصمة الأنبياء ص ٢٣

(٦٤) سبأ ٢٠.

(٦٥) الحجرات من الآية ١٣

(٦٦) الرازى عصمة الأنبياء ص ٢٢

مكتبة المهتدين الإسلامية

المشعرة بوقوع الصغائر بالتأويل .

فيوسف ــ مثلاً ــ عندهم مبرأ من الوقوع فيما يُؤخذ به وأن الوقوف عند قوله ﴿ همت به ﴾ ثم يبتدىء « وهم بها لولا أن رأى برهان ربه » كما تقول : قتلت زيدا لولا أننى أخاف الله . فلا يكون الهم واقعاً بوجود المانع منه وهو رؤية البرهان .

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

شبهات حول العصمة

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

وردت آيات في القرآن الكريم يشعر ظاهرها أن الأنبياء قد وقعوا في بعض الذنوب فكيف يتلاءم ذلك مع القول بعصمتهم ؟ نعرض فيما يلي لبعض هذه الشبهات .

شبهة معصية آدم :

ورد في حق آدم عليه السلام أنه أمر بعدم الأكل من شجرة معينة إلا أنه بعد وسوسة الشيطان خالف الأمر وبذلك صار عاصياً ورجع إلى الله تائباً فقبل منه الله تعالى توبته . وهل يتاب ويستغفر من لا شيء ؟ وهذا يؤكد وقوعه في ذنب والذنوب تخالف العصمة .

يقول الله تعالى : ﴿ **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأذلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا إهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم** ﴾[1] . ويقول سبحانه : ﴿ **فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى** ﴾[2].

قال القرطبي : « اختلفوا كيف أكل منها مع الوعيد المقترن بالقرب وهو قوله تعالى : ﴿ **فتكونا من الظالمين** ﴾ ؟ فقال قوم : أكلا من غير التي أشير إليها ، فلم يتأولا النهي واقعاً على جميع جنسها وقيل أكلها ناسياً ، وهو الصحيح لأخبار الله تعالى بذلك حتماً وجزماً فقال : ﴿ **ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً** ﴾[3] ولكن لما كان الأنبياء عليهم السلام يلزمهم من التحفظ والتيقظ لكثرة معارفهم وعلو منازلهم ما يلزم غيرهم ، كان تشاغله عن تذكرة النهي تضييعاً صار به عاصياً أي مخالفاً[4] .

وهناك قول آخر ذهب إليه الطبري وهو أن آدم كان مندوبا ولم يكن مأموراً . قال في مجمع البيان : « اختلف في هذا النهي فقيل أنه نهي التحريم وقيل أنه نهي التنزيه دون التحريم كمن يقول لغيره لا تجلس على الطريق[5] واختار الإمامية الأخير فآدم عندهم « كان مندوباً

---

(١) البقرة : ٣٥ ، ٣٧

(٢) طه : ١٢١

(٣) طه : ١١٥

(٤) تفسير القرطبي حـ ١ ص ٢٦٠ ــ ٢٦١ ك الشعب وابن العربي : احكام القرآن حـ ١ ص ١٢٤٩ .

(٥) الطبري : مجمع الانبياء حـ ١ ص ٣٥

مكتبة المهتدين الإسلامية

إلى ترك التناول من الشجرة وكان بالتناول منها تاركاً فعلاً ولم يكن فاعلاً لقبيح »[٦] .

وإذا كان آدم ناسياً أو كان مندوباً فإن ذلك لا يصادم العصمة لأن النسيان يرفع الإثم عن الفاعل وقد سبق للرازى أن قرر فى (محصله) أن الساهى غير مكلف ومن ثم غير مخالف .

وهناك من يقول : إنما كانت هذه المخالفة قبل النبوة وهذا ما ذهب إليه الأشاعرة والشيخ محمد عبده من المحدثين حيث قالوا : « الاجتباء بالنبوة كان بعد تلك القصة كما يدل عليه قوله تعالى ﴿ فغوى ﴾ ثم اجتباه ربه فتاب عليه فإن كلمة ثم للتراخى والمهلة »[٧] .

طبقا لهذا الرأى تكون المعصية وقعت قبل النبوة وذلك ما اختاره — أيضا — من المحدثين الشيخ محمد عبده . جاء في تفسير النار . « واما مسألة عصمة آدم ، فالجرى على طريقة السلف يذهب بنا الى أن العصيان والتوبة من التشابه كسائر ما ورد فى القصة مما لا يركن العقل إلى ظاهره ، لنا أن نقول : ان تلك مخالفة صدرت منه قبل أن يدركه عزم النبوة كما قال جل شأنه ﴿ فنسى ولم نجد له عزماً ﴾ ... والاتفاق إنما هو على العصمة عن مخالفة الأوامر بعد النبوة وقد يكون الذى وقع من آدم نسياناً ، تفخيماً لأمره عصياناً والنسيان والسهو مما لا ينافى العصمة »[٧] .

فان قال قائل : إنه رجع إلى الله بالتوبة فقبلها منه وهذا يؤكد وقوعه فى ذنب قيل : بأن التوبة تحسن ممن لم يذنب قط على سبيل الانقطاع الى الله تعالى والرجوع إليه ، ووجه حسنها استحقاق الثواب بها ابتداء والذى يدل عليه أنا نقول : (اللهم أجعلنا من التوابين) فلو كان حسنها مسبوق بفعل الذنب لكان ذلك سؤالاً لصيرورتنا مذنبين . فضلا عن تلقى آدم الكلمات وتوبته — ومن ثم جنس الانسان — وفيه رد على دعوى النصارى من اعتقاد أن الله تعالى قد سجل معصية آدم عليه السلام عليه وعلى بنيه إلى أن يأتى عيسى ويخلصهم منها وهو اعتقاد ترده الفطرة ويرده الوحى المحكم المتواتر . أما الذين جوزوا عليهم الصغائر قالوا : ما كان من آدم محمول على الصغيرة أو على ترك الأولى .

أما معنى قوله تعالى : ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾ أى ظالمين لأنفسكما ، الظلم فى اللغة وضع الشيء فى غير موضعه ، فمن وضع الأمر أو النهى فى موضع الندب أو الكراهية

---

(٦) الايجى : المواقف حـ ٢ ص ٤٣٢ ، الرازى عصمة الانبياء ص ٢٨

(٧) رشيد رضا تفسير المنار حـ ١ ص ٢٣٢

http://www.al-maktabeh.com

فقد وضع الشيء في غير موضعه وهذا النوع من الظلم يقع بغير قصد وليس معصية إلا الظلم الذى هو القصد الى المعصية وهو يدرى أنها معصية .

يتضح إذن مما سبق أن آدم عليه السلام لم يتعمد مخالفة الأمر الإلهي وإنما تأول هذا الأمر مجتهدا أو ناسياً لأمر الله عز وجل فعاقبه الله تعالى بإخراجه من الجنة فلا يصح رميه بالعصيان أو أن ما وقع منه كان قبل نبوته ، وهذا كله لا يخل بمنصب النبوة .

شبهة معصية نوح :

ورد أن نوحاً عليه السلام طلب من ربه سبحانه أن ينجى ابنه قائلاً « إن ابني من أهلي »[٨] فأجابه سبحانه : ﴿ إنه ليس من أهلك ﴾[٨] وهذا يدل على أن نوحاً عليه السلام قد كذب على الله والكذب كبير تخالف العصمة .

وهذا الذى ساقه مجوزوا الذنب على الأنبياء لا حجة لهم فيه . ذلك أن نوحاً عليه السلام تأول وعد الله تعالى أن يخلصه وأهله فظن أن ابنه من أهله على ظاهر القرابة ولم يسأل نوح من أيقن أنه ليس من أهله فتفرع على ذلك نهى أن يكون من الجاهلين فندم عليه السلام ونزع وليس ههنا عن المعصية البتة »[٩] وهذا الذى قاله ابن حزم يؤكده الإمام (أحمد) . فنوح عليه السلام : « لم يكن كاشفاً لحال ابنه المذكور ولا مطلعاً على باطن أمره بل معتقداً بظاهر الحال أنه مؤمن بقى على التمسك بصيغة العموم للأهلية الثابتة ولم يعارضها يقين في كفر ابنه حتى يخرج من الأهل ويدخل فى المستثنين فسأل الله فيه »[١٠] والذى أبانه الله تعالى أولى « بأن يكون عذراً منه وعتباً فإن نوحاً عليه السلام لا يكلفه الله علماً استأثر به غيباً . وأما قوله : ﴿ إنى أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ فالمراد منه النهى عن وقوع السؤال فى المستقبل بعد أن أعلمه الله باطن أمره وأنه إن وقع فى المستقبل فى السؤال كان من الجاهلين والغرض من ذلك تقديم ما يبقيه عليه السلام على سمة العصمة والموعظة لا تستدعى وقوع ذلك »[١٠] .

إن نوحاً عليه السلام لم يكذب على ربه وإن من يطلب انجاءه هو ابنه من صلبه ، وقد رد علام الغيوب عليه أنه ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم معك على ما يقوله ابن عباس

---

(٨) هود : ٤٥ ، ٤٦

(٩) ابن حزم الفصل حـ ٤ ص ٥٢٤

(١٠) احمد بن محمد بن المنير ك الإنتصاف بهامش الكشاف حـ ص ٤٤٤

مكتبة المهتدين الإسلامية

وسعيد ابن جبير أو هو ليس من أهل دينك الذين اتبعوك وصدقوك بل هو كافر مستحق للعقاب .

أما ما روى من أنه كان ولد زنا فانه أضعف الأقوال لأنه يجب تنزيه منصب الأنبياء عن مثل هذه الفضيحة .

كان نوح لا يعلم بكفر ابنه ، وهذا لا يقضى على نوح بمعصية ، لقد تأول وأقدم على السؤال فيمن لم يؤذن له فيه ولا نهى عنه .

شبهة معصية إبراهيم :

أولاً : وردت آيات فى حق ابراهيم عليه السلام ربما فهم من ظاهرها تردده فى الإعتقاد حيث اعتقد ألوهية الكواكب ثم رجع عن ذلك وهذا التردد فى الاعتقاد يفيد الشرك ، والشرك يفيد عدم العصمة ، وإن كان ابراهيم تبرأ بعد ذلك من كل هذه الأشياء واعتقد ألوهية الواحد الأحد . من هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ **فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال : هذا ربى فلما أفل قال : لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال : هذا ربى ، فلما أفل قال : لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال : هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال : يا قوم إنى برىء مما تشركون إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين** ﴾[11] .

ذهب أبو القاسم البلخى إلى أن قوله (هذا ربى) على سبيل الفكر فلما غاب علم أن الأفول لا يجوز على الله أو أنه قال ذلك قبل بلوغه وهذا اختيار الجبائى .

أما (ابن العربى) فيقول : « والذى أوتيه ابراهيم عليه السلام من العلم بالحجة بظهور دلالة التوحيد وبيان عصمة ابراهيم عن الجهل بالله تعالى ، والشك فيه والاخبار أن ما جرى بينه وبين قومه إنما كان احتجاجاً ولم يكن اعتقاداً »[12] .

أما ما يقوله صاحب (الكشاف) عند هذه الآيات فكلام جيد ومقنع ، فالبيئة التى تحيط بإبراهيم عليه السلام تعبد الأصنام والكواكب ولقد أراد عليه السلام أن يهديهم إلى الله الواحد الأحد فتظاهر بالتسليم لهم ثم أخذ يبين لهم فساد وبطلان اعتقادهم بالتدريج ، فالإله لا

---

(١١) الأنعام ٧٦ ــ ٧٩

(١٢) ابن العربى احكام القرآن حـ ٢ ص ٧٣٢

http://www.al-maktabeh.com

يتغير والكواكب المعبودة تتغير وما يعبدونه يغيب والإله لا يغيب .

يقول الزمخشرى : « وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب ، فأراد أن ينبههم على الخطأ فى دينهم ويرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد الى أن شيئاً منها لا يصح أن يكون إلهاً لقيام دليل الحدوث فيها وأن وراءها محدثاً أحدثها وصانعاً صنعها ومدبراً دبر طلوعها وأفولها ... وقول إبراهيم (هذا ربى) قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه باطل . فيمكن قوله كما هو غير متعصب لمذهبه ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة حيث يقول (لا أحب الآفلين) أى لا أحب عبادة ارباب المتغيرين من حال إلى حال ، المنتقلين من مكان إلى مكان المحتجبين بستر فإن ذلك من صفات الاجرام ، وقوله (لئن لم يهدنى) تنبيه لقومه على أن من أتخذ القمر إلهاً وهو نظير الكواكب فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه » . أى أنه قالها على سبيل التقدير لتفريع قومه : كما فى قوله تعالى للكفار : ﴿ **ذق إنك أنت العزيز الكريم** ﴾ .

ولله در حافظ حين قال فى ديوانه :

نظـــر إبـــراهيم فيها نظـــــرة .·. فأرى الشك وما ضل اليقين
ودعـــى القـــوم إلى خالقهـــا .·. وأتى القـــوم بسلطـــــان مبين
قال ذا ربى فلمـــا أفـــــلت .·. قال إنى لا أحب الآفلين

• وبمقتضى استغفار إبراهيم لأبيه فى قوله تعالى : ﴿ **سلام عليك سأستغفر لك ربى** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **واغفر لأبى إنه كان من الضالين** ﴾ يكون إبراهيم قد ارتكب ذنبا لأن أباه كان كافراً والإستغفار للكافر غير جائز لقوله تعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ .

(ا) تناول العلماء هذه الشبهة بالتنفيذ والجواب من وجوه ، فذهب الرازى إلى القول : « لعل إبراهيم لم يجد فى شرعه ما يدل على القطع بعذاب الله تعالى للكافر فلا جرم إستغفر لأبيه ..

(ب) أما الإمام القرطبى فوجد فى قول ابن عباس ما ينزه إبراهيم عن المعصية . قال ابن عباس : « كان أبو إبراهيم وعد الخليل أن يؤمن بالله ويخلع الأنداد فلما مات على الكفر علم أنه عدو لله فترك الدعاء له» فالكتابة فى قوله (أياه) ترجع الى إبراهيم والواعد أبوه .

مكتبة المهتدين الإسلامية

(جـ) وما ذهب إليه ابن حزم أنه لم يكن نهى عن الاستغفار لقوله تعالى : فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » فأثنى الله تعالى عليه بذلك .

وليس فى أى من الوجوه الثلاثة ما يدل على المعصية ، فصح أن استغفار إبراهيم لأبيه إنما كان مدة حياته راجياً إيمانه ، فلما مات كافراً تبرأ منه ولم يستغفر له بعدها .

وادعى قوم أن إبراهيم كذب ـــ وهو غير جائز على الأنبياء ـــ حين سأله قومه « أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟ قال : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون » وهو يعنى بالكبير الصنم الكبير وهذا كذب لأن إبراهيم هو الذى كسر الأصنام فإضافة تكسيرها إلى ما لا يجوز ان يفعل شيئاً لا يكون إلا كذباً .

أجاب الشريف المرتضى صاحب « تنزيه الأنبياء » بأن الخبر السالف مشروط غير مطلق لأنه قال إن كانوا ينطقون ومعلوم أن الأصنام لا تنطق ... فما علق بهذا المستحيل من الفعل أيضا مستحيل .

فضلا عن أن إبراهيم لم يرد بهذا الفعل إلا تنبيه القوم وتوبيخهم وتعنيفهم بعبادة من لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يقدر أن يخبر عن نفسه بشىء .

شبهة معصية يوسف :

ورد فى حق يوسف الصديق عليه السلام أن إمرأة العزيز همت بإرتكاب الفاحشة معه وهم هو بنفس الشىء ، فقيل : كيف جاز على نبى الله أن يكون منه هم المعصية وقصد إليها مع منافاة ذلك للقول بعصمة الأنبياء ؟ .

يقص القرآن هذا الحادث فيقول ﴿ **ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين** ﴾[١٣] .

أولاً : نأتى على معنى الهم وهو فى اللغة له معان أربعة :

الأول : « العزم على الفعل لقوله تعالى : ﴿ **إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم** ﴾[١٤] أى أرادوا ذلك وعزموا عليه »[١٥] .

---

(١٣) يوسف ٢٤

(١٤) المائدة من الآية ١١

(١٥) الرازى عصمة الأنبياء ص ٧٦

http://www.al-maktabeh.com

الثاني : « خطور الشيء بالبال . قال تعالى : ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما ﴾[16] ... أراد الله تعالى أن الفشل خطر ببالهم ولو كان المراد العزم لما صح أن يكون الله ولياً لهم لأن العزم على المعصية معصية »[17] .

والثالث: « يستعمل بمعنى المقاربة ، يقولون . هم بكذا أى كان يفعله قال ذو الرمة .

أقول لمسعـــود بجرعـاء مالك ... وقدهـم دمعـى أن يلـج أوائلـه

« والدمع لا يجوز عليها العزم وإنما أراد أنه كاد أو قارب »[18] .

الرابع : « الشهوة وميل الطباع »[18] .

إختلف فى تأويل هذه الآية على وجوه :

الأول : إذا حمل الهم فى الآية على العزم فيجب تعليقه بغير القبيح كأن يتناول « ضربها أو دفعها عن نفسه »[19] . فكأنه قال : « ولقد همت بالفاحشة منه وأرادت ذلك وهم يوسف بضربها ودفعها عن نفسه . كما يقال همت بفلان أى بضربه ... »[20] .

ويكون البرهان الذى أراه الله أنه إن أقدم على ما هم به أهلكه أهلها ... فأخبر عنه سبحانه أنه صرف عنه السوء والفحشاء اللذين هما القتل وظن اقتراف الفاحشة .

ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين . فأخبر الله تعالى « أنه صرف عنه السوء والفحشاء وهذا يدل على أنه لم يصدر منه سوء ولا فحشاء »[21] .

الثانى : أن فى الآية تقديم وتأخير والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها ﴾[22] وأيضا فلو لم يجعل التقديم على (لولا) جواباً لها لكان جوابها محذوفاً . وإذا دار الأمر بين أن يكون جواباً محذوفاً وبين أن يكون متقدماً

---

(١٦) آل عمران من الآية ١٢٢

(١٧) الرازى : المصدر السابق

(١٨) الرازى : المصدر السابق

(١٩) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٤٧٤

(٢٠) الطبرى : مجمع البيان ص ٥٢٩

(٢١) ابن تيمية : الفتاوى الكبرى جـ ٢ ص ٣٣٩

(٢٢) القصص من الآية ١٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

عليها لاشك أن التقديم أولى »[٢٣] كقولهم قد كنت هلكت لولا أن تداركتك .

إذا جاز أن فى الآية تقديم وتأخير ــ كما ذهب الرازى ــ فان ذلك يكون خير علاج لبلبة المدارك تجاه هذه القضية لأن التقديم والتأخير من معانيه أن الهم لم يقع أصلاً في نفسه ويكون تقديم الآية ــ والله تعالى أعلم ــ ولولا أن رأى برهان ربه لقد هم بها ، أى أن الهم كان خليقا أن يثور فى نفسه لو لم يره الله برهانه أما وقد رأى هذا البرهان فقد كان ذلك عاصما له من الهم .

الثالث : هم يوسف ﷺ لم يكن هم اصرار بل هم خطرات حديث النفس أى ما يمر سريعاً على نفس الإنسان .

قال الإمام أحمد : الهم همان : هم خطرات وهم إصدار وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أن العبد اذا هم بسيئة لم تكتب عليه وإذا تركها لله كتبت له حسنة وإن عملها كتبت له سيئة واحدة وإن تركها من غير أن يتركها لله لم تكتب له حسنة ولا تكتب عليه سيئة . ويوسف هم هما تركه لله ، ولذلك صرف الله عنه السوء والفحشاء لإخلاصه ، وذلك إنما يكون إذا قام المقتضى للذنب وهو الهم وعارضه الإخلاص والموجب لانصراف القلب عن الذنب لله . فيوسف ﷺ لم يصدر منه إلا حسنة يثاب عليها ، قال تعالى : **﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾** .

وأما ما ينقل من أنه حل سراويله وجلس مجلس الرجل من المرأة وأنه رأى صورة يعقوب عاضاً على يده ، وأمثال ذلك كله مما لم يخبر الله به ولا رسوله ومالم يكن كذلك فإنما هو مأخوذ من اليهود الذين هم من أعظم الناس كذباً على الأنبياء وقدحاً فيهم[٢٤] .

هذا فضلاً عن اعتراف امرأة العزيز نفسها بعصمته وعفته أمام جمع من نسوة المدينة اللائى اعترفن أيضا بعصمته ونزاهته فقد حمل الإمام ابن تيمية قوله تعالى : **﴿ وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى ﴾** على أنه من كلام المرأة لا من كلام يوسف لأنه على سنق الكلام . المحكى عنها فى قوله تعالى : **﴿ قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ﴾** فالمكنى عنه فى قولها « لم أخنه بالغيب » هو يوسف دون زوجها فيوسف اذ

---

(٢٣) [illegible]

(٢٤) [illegible]

http://www.al-maktabeh.com

ذاك غائب فى السجن لم يحضر بعد الى الملك ولا سمع كلامه ولا راه ، أما زوجها فقد خانته فى الحقيقة بالغيب .

نختم هذه الدفوع بما ساقه الامام الرازى من شهادة الشهود من زوج وحاكم ونسوة وملك ثم إدعاء يوسف نفسه واعتراف الخصم له بصدق ما قاله . وأخيراً اعتراف إبليس بصدق يوسف .

أما شهادة الزوج فقوله تعالى : ﴿ **إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين** ﴾ وأما شهادة الحاكم فقوله تعالى : ﴿ **وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من دبر** ﴾ وأما شهادة النسوة فقولهن : « حاشى لله ما علمنا عليه من سوء » وأما شهادة الملك فقوله « إنك اليوم لدينا مكين أمين » .

أما ادعاء يوسف عليه السلام فقوله : « هى راودتنى عن نفسى » واما اعتراف الخصم فقول المرأة : « ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقولها : « الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه » .

هذا فضلاً عن شهادة رب العالمين الذى هو أصدق القائلين : ﴿ **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء** ﴾ .

وأما اعتراف ابليس بذلك فقوله تعالى : حكاية عنه . ﴿ **لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ فبين أنه يغوى الكل إلا المخلصين ويوسف من المخلصين لقوله تعالى : ﴿ **إنه من عبادك المخلصين** ﴾ .

فأية شبهة تبقى مع هذه الشهادات فى براءة يوسف عن هذه الذنوب ؟

شبهة معصية موسى :

ورد أن موسى عليه السلام حينما دخل المدينة مستخفياً وجد رجلين يقتتلان أحدهما من شيعته — أى من العبريين — والآخر من المصريين ، وحينما إستغاث به الذي من شيعته على الذى من عدوه قام موسى بدفع المصرى فسقط قتيلاً وعلى هذا يكون موسى قاتلاً والقتل كبيرة تتنافى مع القول بالعصمة فضلاً عن اعتراف موسى بقوله : « رب أنى ظلمت

مكتبة المهتدين الإسلامية

نفسى »[٢٥] وقوله : « فعلتها إذن وأنا من الضالين »[٢٦] .

الذين جوزوا الصغائر على الأنبياء حملوها عليه وقالوا : الاستغفار والتوبة تجب من الصغيرة كما تجب من الكبيرة . فذهب الجبائى مع أقراره بأن القتل كان بغير قصد وأنه كان على سبيل المدافعة للظالم ، ذهب الى أن موسى عليه السلام فعل معصية صغيرة ونسب معصيته الى الشيطان . وتمسك الذين جوزوا الصغيرة عليهم قبل النبوة بقوله (فعلتها إذا وأنا من الضالين) واعتبروا ذلك قول صحيح « وهو حاله قبل النبوة فانه كان ضالاً عما اهتدى له بعد النبوة وضلال الغيب عن العلم كما تقول : أضللت بعيرى لاضلال القصد إلى الإثم »[٢٧] .

الصغائر التى تحدث إذن قبل البعثة لا تشعر بأى خسة ولا تتنافى مع عصمة الأنبياء .

أما الذين سحبوا العصمة على الأنبياء منذ ولادتهم فإن موسى عندهم لم يتعمد القتل ولا أراده وإنما أراد دفع الظالم. وكل ألم يقع على سبيل المدافعة للظالم من غير أن يكون مقصوداً فهو حسن غير قبيح .

أما وقد وصف موسى نفسه بالظلم . « رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى » فلإحساسه بترك الأولى ، فقد كان الأولى أن يترفق بالرجل ويدفعه بالكلام لا باليد .

شـــبهة معصيـــة داود :

أورد بعض المفسرين قصصاً إسرائيلية فى تفاسيرهم مما لا يجوز اعتماده لأنه يتنافى وعقيدة المسلمين فى عصمة الأنبياء .

من هذا القصص المدسوس ما جاء عن بنى الله داوود أنه عشق امرأة أوريا ـــ قائد جنده ـــ فاحتال عليه حتى قتل زوجها فتزوجها .

يقول صاحب الكشاف : وأما ما يذكر أن داود عليه السلام تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب . فقال : يارب . إن آبائى قد ذهبوا بالخير كله . فاوحى إليه أنهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها . قد ابتلى إبراهيم بنمروذ وذبح إبنه واسحق بذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف . فسأل الابتلاء فأوحى الله اليه . أنك لمبتلى فى يوم كذا وكذا فاحترس . فلما جاء

(٢٥) القصص : من الآية ١٦
(٢٦) الشعراء ٢٠
(٢٧) ابن حزم الفصل جـ ٤ ص ١٢

http://www.al-maktabeh.com

ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ فى الزبور فجاء الشيطان فى صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطارت فامتد إليها فطارت فوقعت فى كوة فتتبعها ، فأبصر امرأة جميلة قد انفضت شعرها فغطى بدنها ، وهى امرأة اوريا ـــ وهو قائد الجند ـــ فبعثه وقدمه على التابوت وكان من يتقدم لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد ، ففتح الله على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل ... فتزوج امرأته .

فهذا ونحوه . مما لا يصح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلاً عن بعض اعلام الأنبياء وعن سعيد بن المسيب والحارث الأغود : أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال : « من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الأنبياء » .

يستنكر الزمخشري ـــ ونحن معه ـــ هذه القصة ويذكر من الأخبار ما يؤكد استبعادها وذلك لأنها ـــ لو صحت ـــ تخل إخلالاً عظيماً بمقام النبوة وهدما لمبدأ العصمة .

ويقول البيضاوى فى تفسيره : وما قيل إنه أرسل أوريا مراراً إلى الجهاد وأمر أن يقوم حتى قتل فتزوجها ـــ اى تزوج زوجة أوريا ـــ داود هراء وافتراء ... » .

أما صاحب « معالم الغيب » فيدفع هذه الفرية الإسرائيلية والتى اغتر بها بعض العلماء المسلمين بوجوه . ثلاثة :

أولها : أن الدخول فى دم أوريا ـــ أى التآمر على قتل أوريا ـــ أعظم من التزوج بامرأته .

فكيف ترك الله تعالى الذنب الأعظم واقتصر على ذكر الأخف ؟ .

ثانيها : أن السورة من أولها إلى آخرها فى محاجة منكرى النبوة فكيف يلائمها القدح فى بعض أكابر الأنبياء بهذا الفسق القبيح ؟

ثالثها : إن قوله تعالى : ﴿ **وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب** ﴾ لا يلائم العشق والقتل .

إن هذه الأباطيل تتنافى مع مقصود الرسالة والغرض من العصمة ومن ثم فلا يقبلها عقل ولا نقل .

مكتبة المهتدين الإسلامية

شبهة معصية النبي الخاتم :

أما نبينا ﷺ فشأنه شأن بقية الرسل . معصوم من الذنوب . محفوظ بعناية الله ورعايته ، فلا يمكن أن تقع منه مخالفة لأمر الله عز وجل . أما ما ورد فى حقه نحو قوله تعالى : ﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾[٢٨] . وأن ظاهر الآية أشعر بعض مجوزى الذنوب الصغيرة على الأنبياء أنه ﷺ ارتكب بعض الذنوب التى تخل بالعصمة .

قيل : إن الضلال لا يطلق على معنى واحد بل قد يراد به ضلال الشرك أو ضلال الهوى أو ضلال الطريق . ولما كان الرسل مبرئين عن الشرك والهوى بقى ضلال الطريق .

قال الامام ابن كثير عند تفسير هذه الآية : ﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾ كقوله ﴿ وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ﴾ ... ومنهم من قال : إن المراد بهذا أن النبى ﷺ ضل فى شعاب مكة وهو صغير ثم رجع . وقيل : إنه ضل وهو مع عمه فى طريق الشام فجاء جبريل ثم عدل بالراحله إلى الطريق[٢٩] .

أما الأشاعرة والامامية فرأوا : أنه يراد : ووجدك ضالاً عن النبوة فهداك إليها أو وجدك ضالاً عن المعيشه وطريق الكسب أو وجدك ضالاً فى زمان الصبى فى بعض المفاوز أو وجدك ضالاً فهدى أى مضلولاً عنك فى قوم لا يعرفون حقك فهداهم إلى معرفتك وأرشدهم إلى فضلك »[٣٠] . وذهب الأيجى إلى أن ذلك كان « قبل النبوة ... ويجب حمله على هذا ، لقوله تعالى : ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ إذ المراد به نفى الضلالة والغواية فى أمور الدين »[٣١] .

ثانياً : يقول سبحانه وتعالى ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾[٣٢] يفيد الفهم الظاهر لهذه الآية أنه حدثت المغفرة من الله تعالى لمحمد ﷺ والمغفرة لا تكون إلا عن ذنب والذنوب تخل بالعصمة .

---

(٢٨) الضحى (٧)

(٢٩) ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٥٣٣

(٣٠) المرتضى [illegible] الأنبياء ص ٥ [illegible]

(٣١) الأيجى [illegible] مواقف جـ ٢ ص ٤٣٥

(٣٢) الفتح ٢

http://www.al-maktabeh.com

يرد الأشاعرة ـــ وقد جوزوا أن يصدر عن الأنبياء قبل نبوتهم بعض الصغائر التى لا تشعر بخسه ـــ : من الجائز « أن يصدر عنه قبل النبوة صغيرتان إحداهما متقدمة على الأخرى أو أنه ترك الأولى وتسميته بالذنب استعظام لصدوره عنه »[٣٣] أو قد يكون المراد « ما تقدم من ذنب أمتك وما تأخر فإن الرجل المعتبر إذا أحسن بعض خدمه أو أساء فإنه يقال له : أنت فعلت كذا وإن لم يكن هو فاعله بنفسه »[٣٤] .

وفى تفسير آخر ذهب الامامية ـــ وقد نزهوا الأنبياء تنزيهاً مطلقاً ـــ أن المراد ما تقدم من الذنوب إليك لأن الذنب مصدر والمصدر يجوز إضافته إلى الفاعل والمفعول معاً كما يقال أعجبنى ضرب زيد عمراً إذا أضافوه إلى الفاعل وأعجبنى ضرب زيد عمرو إذا أضافوه إلى المفعول ... ومعنى المغفرة : هى الإزالة والنفى لأحكام أعدائه من المشركين عليه وذنوبهم إليه فى منعهم إياه عن مكة وصدهم له عن المسجد الحرام وما ذهب إليه الإمامية يطابق ظاهر الكلام حتى يكون المغفرة غرضاً فى الفتح ووجهاً له ، وإلا فاذا أراد مغفرة ذنوبه لم يكن لقوله ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾ معنى معقول لأن المغفرة من الذنوب لا تعلق لها بالفتح وليست غرضاً فيه .

ثالثاً : معاتبته فى الإذن للمنافقين : يقول الله تعالى : ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم** ﴾[٣٥] . ظاهر الآية يدل على أنه ﷺ أذنب لأن العفو لا يكون إلا بعد الذنب .

ذهب ابن كثير إلى أنه أفضل وأحسن عتاب لأنه « نداء العفو قبل المعاتبة . فقال (عفا الله عنك ...) وقال قتاده عاتبه ثم أنزل التى فى سورة النور فرخص له فى أن يأذن لهم إن شاء فقال ﴿ **فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم** ﴾[٣٦،٣٧] . بينما يرى الطبرسى ـــ كغيره من الإمامية ـــ أن ما ورد من الآيات مشتملاً على عتاب النبى لا تشير إلى أى عتاب فضلاً عن وقوع الذنب ، وذلك لأن الله تعالى رفع منزلته بالدعاء له فى بداية الآية . يقول صاحب(مجمع البيان) « معناه : أدام الله لك العفو لم أذنت لهؤلاء فى الخروج لأنهم استأذنوا فيه غلقاً ولو خرجوا لأرادوا الخبال والفساد ولم يعلم النبى ذلك فى

---

(٣٣) الايجى : المصدر السابق ص ٤٣٦

(٣٤) الرازى : عصمة الأنبياء ص ١٤٨

(٣٥) التوبة : ٤٣

(٣٦) النور من الآية ٦٢

(٣٧) ابن كثير تفسير القرآن العظيم حـ ٢ ص ٣٦٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

سيرتهم »[٣٨] .

أما الإمام عياض صاحب الشفا فيرى أن الرسول ﷺ لما أذن لهم أعلمه الله تعالى بما لم يطلع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وأنه لا حرج عليه فيما فعل وليس (عفا) ها هنا بمعنى غفر بل كما قال النبى ﷺ . ﴿ **عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق** ﴾ ولم تجب عليهم قط ، أى لم يلزمكم ذلك .

عفا الله أى لم يلزمك شيء لأنك أذنت لهم .

يقول الدكتور عبد الحليم محمود عند هذه الآية : إن العربية تعج بمثل هذه الأساليب منها قولهم مثلاً : غفر الله لك لم تشق على نفسك كل هذه المشقة ؟ عفا الله عنك لم تعن نفسك فى سبيل هؤلاء ؟ وكأن القائل يقول : رضى الله عنك لم ترهق نفسك هذا الإرهاق . إن الآية القرآنية من هذا الوادي ... ليس النبى إذن معاتبا لهذه الآية وهذا المعنى ذهب إليه [الأيجى] من قبل فعنده لا يمكن إجراء الآية على ظاهرها : فلا يمكن أن يكون عفا عنه ثم عاتبه إذ هو باطل وإلا فلا عتاب بعد العفو وعلى هذا فلا دلالة للعفو على الذنب .

وإذا كان الإمامية رأوا فى الآية مدحاً للرسول ﷺ فإن الزمخشرى تطرق فى تفسيره لهذه الآية حين قال « (عفا الله عنك) كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها ومعناه : أخطأت وبئس ما فعلت و(لم أذنت لهم) بيانا لما كنى عنه بالعفو معناه : مالك أذنت لهم فى القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت (حتى يتبين لك) من صدق فى عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بهما : إذنه للمنافقين وأخذه من الأسارى ... »[٣٩] .

قال الإمام أحمد ... لكن أجل الله نبيه الكريم عن مخاطبته بصريح العتب . وخصوصاً فى حق المصطفى . ولقد أحسن من قال فى هذه الآية : ان من لطف الله تعالى بنبيه أن بدأه بالعفو قبل العتب ولو قال له ابتداء : لم أذنت لهم لتفطر قلبه ﷺ .

الله تعالى تلطف فى الخطاب كقول القائل : أرأيت رحمك الله وغفر لك . فلا يمكن

---

(٣٨) الطبرسى : مجمع البيان ص ٣٥١

(٣٩) الزمخشرى . الكشاف ج ٢ ص ٢٧٤

http://www.al-maktabeh.com

حمل كلام الله على ظاهره الذى هو انه تعالى عفا عنه ثم عاتبه .

والذى يقبله العقل وتستريح له النفس هو أن العتاب لترك الأولى . فمثلا فى أسرى بدر قبل الرسول ﷺ الفداء تأليفاً للقلوب وطمعاً فى جذب القوم إلى الإسلام بعد ذلك وكان الأولى — كما بين الله تعالى — قتلهم ليذل الكفار فلما فعل الرسول ذلك عاتبه الله تعالى وأعلمه بما كان يجب فعله فى مثل هذه الحالة . ويفهم منها أن للرسول أن يجتهد لكن الله تعالى يصحح له الاتجاه إذا ما ترك الأولى . وإن كان النبى ﷺ لم يدر أنه ترك الأولى عندما تركه بل كان يرى الأولى هو ما فعله .

رابعاً : لقد انشغل رسول الله ﷺ عن الأعمى — ابن أم مكتوم — فأنزل الله تعالى « عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى ... » الآيات .

ذهب مجوزوا الذنوب على الأنبياء إلى أن النبى قد ارتكب ذنباً بفعله هذا وبدليل معاتبة الله تعالى له . غير أن الأمر غير ذلك فالأنبياء عامة لا يقال فيهم أنهم أتوا أو فعلوا ذنوباً وإنما يقال إنهم تركوا ما لو فعلوه استحقوا ثواباً أكثر .

بل إن بعض مفسرى الإمامية يرى أن عتاب النبى ﷺ إنما هو من قبيل : إياك أعنى وإسمعى يا جاره ، فعند هذه الآيات يقول ما نصه : « وقد استبعد بعض العلماء كون الآيات فى رسول الله ﷺ لبعد مقامه عن العبوس والتولى عن الأعمى وعلو مرتبته من أن يصير معاتباً بمثل هذا العتاب ...

أقول . لو كانت الآيات فيه والعتاب له لم يكن فيه نقص بشأنه ولم يكن منافيا لما قاله تعالى فى حقه من قوله : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ : القلم :٤ .

فان إقباله وإدباره وعبوسه وإستبشاره كان لله ... فالخطاب والعتاب يكون لغيره فى الحقيقة »(٤٠) .

وهنا يقول صاحب الظلال : (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) ... بصيغة الحكاية عن أحد آخر غائب غير المخاطب . وفى هذا الاسلوب ايحاء بأن الأمر موضوع الحديث من الكراهة عند الله بحيث لا يحب الله سبحانه أن يواجه به نبيه وحبيبه عطفا عليه ورحمة به وإكراما له عن المواجهة بهذا الأمر الكريه .

---

(٤٠) السيد عبد الله العلوى : تفسير القرآن حـ ١ ص ٤٣٧ ط طهران سنة ١٣٥٢ .

مكتبة المهتدين الإسلامية

أما ابن حزم فيقول : (وأما قوله « عبس وتولى ...) فإنه كان عليه السلام قد جلس إلى بعض عظماء قريش ورجا إسلامهم وعلم أنه لو أسلم لأسلم بإسلامه ناس كثيرون وأظهر الدين وعلم أن هذا الأعمى الذى يسأله عن أشياء من أمور الدين لا يفوته وهو حاضر معه فاشتغل عنه عليه السلام بما خاف فوته من عظيم الخير عما لا يخاف فوته وهذا غاية فى النظر فى الدين والاجتهاد فى نصرة القرآن فى ظاهر الأمر ونهاية التقرب إلى الله الذى لو فعله اليوم منا فاعل لأجر ، فعاتبه الله تعالى إذ كان الأولى عند الله أن يقبل على الأعمى الفاضل البر التقى ويترك أولئك المعاندين » .

ـــ خامساً : وتدور هذه الشبهة حول قوله تعالى ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته** ﴾ . الحج : ٥٢

فقالوا : إن ظاهر الآية يدل على أن الشيطان ملق فى قراءة الأنبياء وما يؤدى إلى الشبهة ، فاذا جوزنا ذلك إرتفع الوثوق بهم .

والقصة المفتراه : أن رسول الله ﷺ لما قرأ سورة النجم وقال : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ . تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتها لترتجى . فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم . وجاء فى بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه ، وأن النبى ﷺ كان يتمنى أن لو (ترك) نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه .

وللناس . فيما يقول الإمام ابن تيمية ـــ فى هذه القصة قولان : منهم من منع ذلك وطعن فى وقوع ذلك ، ومن هؤلاء من قال : إنهم سمعوا ما لم يقله فكان الخطأ فى سمعهم والشيطان ألقى فى سمعهم .

والقسم الثانى من الناس جور ذلك قائلاً : إذا حصل البيان ونسخ ما ألقى الشيطان لم يكن فى ذلك محظور وكان دليلاً على صدقه وأمانته وديانته وأنه غير متبع هواه .

ويستطرد ابن تيمية قائلاً : وإذا كان نسخ ما جزم بأن الله أنزله لا محذور فيه ، فنسخ مثل هذا أولى أن لا يكون فيه محذور .

ومن الفريق الأول القاضى عياض صاحب الشفا إذ يقول ... قامت الحجة وأجتمعت الأمة على عصمته ﷺ ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة ، أما من تمنيه أن ينزل عليه قبل هذا

http://www.al-maktabeh.com

من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو يقول ذلك النبى ﷺ من قبل نفسه عمداً ـــ وذلك كفر أيضاً ـــ أو سهوا وهو معصوم من هذا كله

وقد اثبتنا فيما سبق عصمة الأنبياء من جريان الكفر على قلبهم أو لسانهم لا عمداً ولا سهواً أو أن يتشبه عليهم ما يلقيه الملك بما تلقى الشيطان أو يكون للشيطان عليهم سبيلا أو يتقولوا على الله تعالى لا عمداً ولا سهواً مالم ينزله عليهم . لقوله تعالى : ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى أن أتبع إلا ما يوحى إلى** ﴾ .

أما الإمام الحافظ ابن كثير فقد قال فى التفسير : قد ذكر كثير من المفسرين هنا قصة الغرانيف ... ولكنها من طرق كلها مرسلة . ولم أرها من وجه صحيح .

وقال القسطلانى فى شرح صحيح البخارى : وقد طعن فى هذه القصة وسندها غير واحد من الائمة حتى قال ابن اسحق ـــ وقد سئل عنها ـــ هى من وضع الزنادقة .

وعن حديث الغرانيق قال صاحب الشفا : إن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه أحد بسند متصل ، وإنما أولع به ويمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب .

وقال الإمام المالكى أبى بكر بن العربى : أن جميع ما ورد فى هذه القصة لا أصل له .

أما صاحب الظلال فإنه يدلى بدلوه قائلاً : ... وقد رفضت منذ الوهلة الأولى تلك الروايات جميعاً... فهى فضلاً عن مجافاتها لعصمة النبوة وحفظ الذكر من العبث والتحريف ، فإن سياق السورة ذاتها ينفيها نفياً قاطعاً ، إذ انه يتصدى لتوهين عقيدة المشركين فى هذه الآلهة وأساطيرهم حولها فلا مجال لإدخال هاتين العبارتين فى سياق سورة بحال . حتى على قول من قال : إن الشيطان ألقى بهما فى أسماع المشركين دون المسلمين . فهؤلاء المشركين كانوا عرباً يتقنون لغتهم . وحين يسمعون هاتين العبارتين المقتحمتين ويسمعون بعدها : « ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذاً قسمه ضيزى إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم . وما أنزل الله بها من سلطان ... » . ويسمعون بعد ذلك وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى ومالهم به من علم . إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً » ويسمعون قبله « وكم من ملك فى السموات والأرض لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » حين يسمعون هذا السياق

مكتبة المهتدين الإسلامية

كله فإنهم لا يسجدون مع الرسول ﷺ لأن الكلام لا يستقيم والثناء على آلهتهم وتقرير ان لها شفاعة ترتجى لا تستقيم . وهم لم يكونوا أغبياء كغباء الذين افتروا هذه الروايات التى تلقفها منهم المستشرقون مغرضين أو جاهلين .

ثم يستطرد الشيخ سيد قطب قائلا: لغير هذا السبب إذن سجد المشركون .

تلك القصة من روايات المفترين الذى نزه الله تعالى أنبياءه عنها وأمثالها .

نخلص مما سبق إلى أن ما ورد من نصوص قرآنية يوهم ظاهرها أن الانبياء وقعوا فى المعاصى يجب حملها على غير ظاهرها أو كما يقول صاحب (المواقف) ما دام النص له محل آخر حملناه عليه ونصرفه عن ظاهره لدلائل العصمة ومالم نجد له محيصا حملناه على أنه كان قبل البعثة أو كان من قبيل ترك الأولى أو من صغائر صدرت عنهم سهواً ولا ينبغى كونه من قبيل ترك الأولى أو الصغائر الصادرة سهوا تسميته ذنباً[٤١] . لأن الاجماع منعقد على أنه لا يجوز أن يستقر فى خبر النبى عن الله تعالى خطأ[٤٢] . وذلك لأن العصمة الثابتة للأنبياء هى التى يحصل بها النبوة والرسالة .

وحسبى هذا من الآيات التى يشير ظاهرها إلى الذنب أو العتاب للرسل والأنبياء وما أوردت .

ويمكن حمل هذه الآيات على :

١ ــ أنها فعل خلاف الأولى .

٢ ــ أنها قد تكون خطأ فى الاجتهاد .

٣ ــ وعلى فرض أنها فعل خلاف الأولى فانهم لا يعرفون أنها كذلك لأنهم يتناولون الخير ويظنون أنهم يطيعون الله تعالى ويفعلون الأولى .

---

(٤١) الايجى شرح المواقف حـ ٢ ص ٤٣٠

(٤٢) ابن تيمية الجواب الصحيح حـ ١ ص ١٧٩

http://www.al-maktabeh.com

موقف اليهود والنصارى .. من

عصمة الأنبياء

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

قد استبان بما قررنا ، ما هو الحق من عصمتهم ﷺ عن الجهل بالله تعالى وصفاته وعصمتهم عن الكذب وخُلف القول منذ نبأهم الله تعالى وأرسلهم قصداً أو غير قصد واستحالة ذلك عليهم شرعاً وإجماعاً وبرهاناً .

ولئن كان هذا هو موقف الإسلام ومفكريه من الأنبياء وعصمتهم وتنزيههم عن كل ما يشينهم فإن اليهود والنصارى افتروا على الله تعالى وعلى أنبيائه .

أما اليهود فانهم لم يكتفوا بنسبة المعصية إلى أنبياء الله وعدم الاعتقاد بعصمتهم بل أنهم جعلوا منهم قادة ورواد للفجور والدعارة وارتكاب أعظم الآثام والشرك والكفر بالله .

يقول الشيخ رشيد رضا : إذا كان إرسال الأنبياء إلى البشر لأجل هدايتهم إلى تزكية أنفسهم بما تصلح به أحوالهم فى دنياهم ويستعدون به لحياة أعلى من هذه الحياة الدنيا فى نشأة أخرى فلا يتم هذا الغرض ولا تتحقق هذه الحكمة إلا إذا كان هؤلاء الأنبياء أهلا لأن يقتدى بهم فى أعمالهم وسيرتهم والتزام الشرائع والآداب التى يتلقونها عن ربهم ومن ثم قال علماؤنا بوجوب عصمة الأنبياء من المعاصى والرذائل . وهذا ما أثبتناه مقرونا بالأدلة فى الصفحات السابقة — وبالغ بعضهم فيها حتى قالوا بعصمتهم من الذنوب الصغائر كالكبائر قبل النبوة وبعدها وبعضهم جعل العصمة من الصغائر بما كان باعثه الخسة والدناوة .

وأهل الكتاب لا يقولون بهذه العصمة وكتبهم المقدسة — عندهم — ترمى بعض كبار الأنبياء بكبائر الفواحش المنافية لحسن الأسوه بل المجرئه على الشرور والمفاسد .

جاء فى التوراة — المحرفة طبعاً — أن نبى الله لوطا صعد « وسكن فى الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن فى صوغر فسكن فى المغارة هو وابنتاه وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا عادة كل الأرض هلم نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلاً ... فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة . إنى قد اضطجعت البارحة معه .

أى نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلى إضطجعى معه فنحى من أبينا نسلاً فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة أيضاً وقامت الصغرى واضطجعت معه ... فحبلت ابنتا لوط من

= / ليس مبالغة هذه حقيقة وهذا رأيهم هم ليس أدلتهم وقد تكون آراؤهم الأصوب

مكتبة المهتدين الإسلامية

أبيهما[1] .

وهكذا يتهم نبى الله لوط بالزنا وشرب الخمر ـــ وحاشاه ـــ وهما من الكبائر .

أما داود عليه السلام فانه تآمر على قائد جيشه فقتله ودخل بزوجته ، فقد جاء فى سفر صموائيل ما نصه .

كان داود يتمشى « على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة جداً فأرسل داود وسأل عن المرأة ... فقال واحد : امرأة أوريا . فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمسها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة » من داود . فكتب داود مكتوبا يقول فيه . « اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت[2] .

هذا بعض ما نسبه اليهود كذباً وافتراء إلى نبى الله داود الذى قال فيه الله تعالى : ﴿ نعم العبد إنه أواب ﴾ وقال عنه ﴿ وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾ .

وقال عنه كذلك : ﴿ وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ .

وقد روي عن الإمام على أنه قال : لا أوتى برجل يزعم أن داود تزوج امرأة أوريا إلا جلدته حدين حدا للنبوة وحدا للإسلام .

كما أنهم قد افتروا على نبى الله سليمان فرموه بالكفر . فهو عندهم « لم يكن قلبه كاملاً مع الرب كقلب داود أبيه ... فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب اله اسرائيل الذى تراءى له مرتين وأوصاه أن لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصاه به الرب[3] .

ولاشك أن هذه دعوى كاذبة يراد بها التهجم على أنبياء الله تعالى .

ومن أباطيل اليهود أيضاً ما جاء في توراتهم ، وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة ... فالتصق بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السرارى ... وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى » .

---

(١) سفر التكوين : الاصحاح ١٩

(٢) سفر صموائيل الثانى : الاصحاح ١١

(٣) سفر الملوك الأول : الاصحاح ١١

http://www.al-maktabeh.com

أى أن نبى الله سليمان قد أشرك ـــ حاشاه الله ذلك ـــ مع الله آلهة أخرى !!

ومما جاء عن نوح عليه السلام فى التوراة ـــ المفتراه ـــ أنه « ابتدأ يكون فلاحاً وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فأبصر سام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً . فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على اكتافهما ومشيا الى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به إبنه الصغير فقال : ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته[٤] .

هكذا نبى الله يسكر فيهذى ولا يدرى ما أحدث ولا ما حدث به . كيف يبلغ إذن عن ربه ؟ وكيف يوثق فيما يقول ؟ .

إنه الكذب إنه الافتراء على من كفل الله تعالى نزاهتهم وعصمتهم .

ومما يروى فى العهد القديم أيضا عن الأنبياء تلك القصة عن هوشع ، فقد زعم أن « أول ما كلم الرب هوشع . قال الرب لهوشع : اذهب لنفسك امرأة زنا لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب فذهب وأخذ جومر بنت حبلايم فحبلت وولدت له أبناء .

ثم حبلت أيضا وولدت له بنتا . فقال له أدع اسمها لورحامه لأنى لا أعود أرحم بيت اسرائيل بل انزعهم نزعاً[٥] .

وفى نفس الكتاب يقول فى إصحاح آخر : « وقال الرب لى اذهب أيضا أحبب امرأة حبيبه صاحب وزانية » .

لقد أبى العلماء المتقنون المحققون قبول هذه الإفتراءات وقالوا : هذا من أباطيل اليهود .

وصدق الله العظيم حين قال واصفا أخلاقيات اليهود . « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به »[٦] .

وعن التكذيب والقتل يقول تعالى : ﴿ **أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون** ﴾[٧]

---

(٤) التكوين : ٩ : ٢٠ ـــ ٢٦

(٥) هوشع : ١ : ٢ ـــ ٤

(٦) المائدة : ١٣

(٧) البقرة : ٨٨

مكتبة المهتدين الإسلامية

أما العصمة عند النصارى فانها قاصرة على السيد المسيح وحده وابتداء نتساءل : ما الفرق بين المسيح وسائر النبين ؟ .

أما عندنا نحن المؤمنين فان « مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » والمثلية فى الخلقة فقد خلق آدم من غير أب ولا أم وعيسى خلق من غير أب . فكان خلقهما أمراً عجيباً فضلاً عن تماثلهما ـــ أيضا ـــ فى أن كليهما خلق بالكلمة « كن » فكانا .

ولقد قال الله تعالى فى شأن عيسى ﴿ وكلمة منه ﴾ وأراد بالكلمة لفظ « كن » التى يستوى أمامها كل ما هو مخلوق لله تعالى « إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » .

المسيح ﷺ عبد الله ورسوله ونحن أول المؤمنين به والموقرين له وإنما خلافنا فى ألوهيته لا فى نبوته .

ويعتقد المسيحيون أن المسيح إله أو ابن الله وأنه قتل وصلب فداء للبشرية وهم يتخذون من خطيئة آدم دليلاً على حكمة الصلب والفداء وتجريح الأنبياء عامة وآدم خاصة . وأن توبة آدم لم تكفر خطيئته ومن ثم كان لابد من فداء .

ولما كان آدم أبو البشر قد أخطأ ولم يقبل الله تعالى ـــ فيما يزعمون ـــ توبته وان هذه الخطيئة تلزم نسله كله بما فيهم الأنبياء . عدا المسيح طبعاً باعتباره إله أو ابن الله ـــ ومن ثم فلا عصمة لأحد من البشر على الإطلاق وإذن لابد من مخلص والمخلص لا يكون مذنباً ولما كان المسيح له العصمة المطلقة فإنه هو المخلص للبشرية من ذنب لم يأتوه ! أما عن ألوهية المسيح ـــ وهذا البحث ليس موضعه ـــ والخطيئة وعقيدة المخلص فإنى أكتفى برأى نصرانى منصف هو الدكتور نظمى لوقا حيث يقول(٨) « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » وفى ذلك نقض لعقائد الشرك وتصحيح لعقائد أهل الكتاب أيضاً ... فقد صار اتباع المسيح إلى القول بالوهيته وأنه ابن الله ... ولم يرد على لسان المسيح فى اقواله الواردة فى بشارات حوارييه (الأناجيل) إشارة إلى شيء من ذلك بل كان يدعو نفسه على الدوام (بابن الإنسان) .

---

(٨) د. نظمى لوقا محمد الرسالة والرسول ص ٧٣ ــ ٧٥ ــ ٨٥ ، ٨٦

http://www.al-maktabeh.com

وأما البنوة لله عز وجل فما ورد لها ذكر إلا على سبيل المجاز المطلق ... بل أن المسيح وعظ الناس فضرب لهم المثل فى رعاية الله وعنايته ...

لابد من رد الناس الى بساطة الاعتقاد ولا بد من نفى اللبس وشوائب الريب عن جوهر هذه العقيدة وهو التوحيد مطلق التوحيد .

إذن تعين أن يأتى الدين الجديد بحسم هذا الاختلاف الوبيل ﴿ **قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ .

لم يلد ولم يولد . فأقرب الى العقل أن من يلد أحرى بأن يولد ... وما كان سبحانه فرداً فى جنس وواحداً فى سلالة من نوعه . حشا ... بل جل عن النظراء والأكفاء فمن ذا الكفء لله ؟ .

بعد ذلك يتكلم عن الخطيئة والفداء والصلب فيقول : أما الإنسان فوقف بعد اليهودية والمسيحية موقفا لا يحسد عليه كثيراً بسبب ما التصق به من وزر أبيه الأول آدم . ذلك الوزر الذى اعتبر خطيئة أولى وخطيئة باقية موروثة لابد لها من كفارة وفداء حتى لا يذهب بجريرتها أبناء الجنس البشرى كافة .

وإن أنس لا أنس ماركبنى صغيرا من الفزع والهول من جراء تلك الخطيئة الأولى وما سيقت فيه من سياق مروع يقترن بوصف جهنم الوصف المثير لخيلة الأطفال وكيف تتجدد فيها الجلود كلما اكلتها النيران جزاء وفاقاً على خطيئة آدم بإيحاء من حواء — وأنه لولا النجاة على يد المسيح الذى فدى البشر بدمه الطهور لكان مصير البشرية كلها الهلاك المبين .

وأن أنس لا أنس القلق الذى ساورنى وشغل خاطرى من ملايين البشر قبل المسيح ، أين هم ؟ وما ذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة !؟

فكان لابد من عقيدة ترفع عن كاهل البشرية هذه اللعنة وتطمئنهم الى العدالة التى لا تأخذ البرىء بالجرم أو تزر الولد بوزرُ الوالد ويجعل للبشرية كرامه مضمونة .

ويحسم القرآن هذا الأمر حين يتعرض لقصة آدم وما ترى فيه من أكل الثمرة المحرمة ، فيقول فى سورة طه : ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** ﴾ .

ويقول فى سورة البقرة : ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب**

مكتبة المهتدين الإسلامية

الرحيم ﴾ .

ويواصل الدكتور نظمي لوقا كلامه عن الدين الصحيح فيقول : والحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الا من نشأ فى ظل تلك الفكرة القاتمة التى تصيغ بصيغة الخجل والتأثم كل أفعال المرء فيمضى فى حياته مضى المريب المتردد ولا يقبل عليها إقبال الواثق بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث .

إن تلك الفكرة القاسية ــ أى الخطيئة الأولى وفداءها ــ تسمم ينابيع الحياة كلها ورفعها عن كاهل الإنسان منة عظمى بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه بل هو ولادة جديدة حقا ورد اعتبار لاشك فيه إنه تمزيق صحيفة السوابق ووضع زمام كل إنسان بيد نفسه .

والناس فى كرامة البشرية أمة واحدة بغير تفريق فقد جاء فى سورة الأنبياء : ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ .

جاء فى « الوحي المحمدى » للشيخ رشيد رضا أن : النصارى يجعلون معاصى الأنبياء دليلا على عقيدتهم وهى أن المسيح هو المعصوم وحده لأنه رب وإله ولأنه هو المخلص للناس من العقاب على الخطيئة اللازمة لكل ذرية آدم بالوراثة له وأنه لا شفيع ولا مخلص لهم غيره لأن المخطىء لا يخلص المخطئين وهو منهم وهذه العقيدة وثنية مخالفة لدين الأنبياء وكتبهم وللعقل ومطابقة للأديان الوثنية الهندية وغيرها .

وهذه المطابقة التى عناها الشيخ رشيد رضا تتضح من خلال عرض بعض المقابلات بين أقوال الهنود الوثنيين فى بوذا ابن الله وأقوال النصارى المحبين فى المسيح ابن الله[٩] .

أقوال الهنود الوثنين فى بوذا ابن الله	أقوال النصارى المسحيين فى المسيح ابن الله
١ ــ كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا .	كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم .
٢ ــ لما نزل بوذا من مقعد الارواح ودخل فى جسد العذراء مايا صار رحمها كالبلور الشفاف النقى وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة .	لما نزل يسوع من مقعده السماوى ودخل فى جسد مريم العذراء صار رحمها كالبلور الشفاف النقى وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة .

(٩) منقولة من كتاب « العقائد الوثنية والديانة النصرانية » عن الإمام محمد أبو زهرة : مقارنة الأديان والديانات القديمة ص ٥٥

http://www.al-maktabeh.com

٣ ــ وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر فى أفق السماء ويدعونه نجم بوذا .	وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر فى المشرق وقال داود . من الواجبات أن يدعى نجم المسيح .
٤ ــ لما كان بوذا طفلا قال لأمه مايا إنه اعظم الناس جميعا .	لما كان يسوع طفلاً قال لأمه مريم (أنا ابن الله) .
٥ ــ وقال مارا (الشيطان) لبوذا لا تصرف حياتك فى الأعمال الدينية لأنك بمدة سبعة أيام تصير ملك الدنيا .	وقال (أى إبليس) له (أى يسوع) اعطيك هذه (أى الدنيا) جميعها إن خررت وسجدت لى .
٦ ــ قال بوذا فلتكن الذنوب التى ارتكبت فى هذه الدنيا على ليخلص العالم من الخطيئة	يسوع هو مخلص العالم وكافة الذنوب التى ارتكبت فى العالم تقع عليه عن الذين اقترفوها ويخلص العالم .

فبعداً لمن صرف كتاب الله ونسب إلى الأنبياء ماهم منه براء منزهون عنه .

الخلاصة : لقد شهد القرآن الكريم لأنبياء الله ورسله أنهم كانوا من الصالحين الذين يقتدى بهم فى البر والتقوى مثل قوله تعالى : ﴿ **وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين** ﴾(١٠) وقال تعالى فيهم بعد ذكر أشهرهم : ﴿ **وأولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾(١١) .

لقد كان فى هذه العصمة والأمانة والنزاهة التى اتصف بها الأنبياء **ضمان** لسلامة أتباعهم وأمتهم فى العقائد والشرائع وأمان مما أستهدفت له الأمم والأجيال البشرية الماضية من الوقوع فى المهالك والتورط فى الشبهات والحيرة فى أمر هؤلاء القادة ونتيجته أتباعهم(١٢) .

أما اليهود والنصارى فلم يزدادوا إلا كفراً وخزياً وأباطيلهم تعج بها بطون الكتب تتوارثها الأجيال شاهدة عليهم باللعنة ورداءة لفهم .

---

(١٠) الأنبياء : ٧٣

(١١) الانعام : ٩٠

(١٢) الأستاذ ابو الحسن الندوى : النبوة والأنبياء فى ضوء القرضان ص ٦٩

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

عصمة الملائكة

مكتبة المهتدين الإسلامية

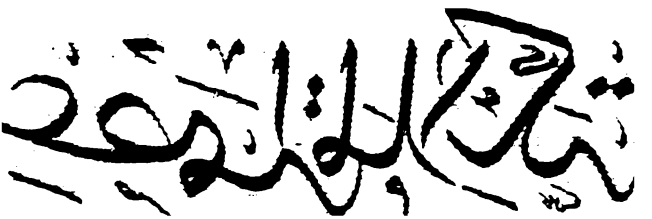

http://www.al-maktabeh.com

من الطبيعى أن يرتبط الحديث فى هذا الكتاب بالحديث عن الملائكة . أما وقد أثبتنا فى غير هذا الكتاب أن وجود الملائكة ثابت بالأدلة الشرعية ، فلقد أتوا إبراهيم عليه السلام ثم ذهبوا منه الى لوط عليه السلام وأنهم أحياء ناطقون منفصلون عن الآدميين يخاطبونهم ويرونهم فى صورة البشر ، الأنبياء وغير الأنبياء .

كما رأتهم سارة امرأة الخليل ، وكما كان الصحابة يرون جبريل إذ جاء فى صورة وحيه الكلبى تارة وفى صورة أعرابى تارة أخرى . ﴿ **الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير** ﴾[1] .

ولكننا فى هذا الكتاب نعرض لموضوع عصمة الملائكة باعتبارهم رسل الله تعالى إلى من يصطفيهم من البشر ، ولقد كان جبريل الأمين هو الذى يقوم بأعمال السفارة بين الله تعالى ورسله من البشر الذين تنزل عليهم كتب الله تعالى .

﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين** ﴾[2] .

هل االملائكة معصومون ؟ أم أن جبلتهم الطاعة فقط فلا يعصون ؟ وإذا كانوا معصومين فما معنى سؤالهم الله تعالى حين خلق آدم . أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . وما معنى أن يرفض إبليس السجود تنفيذا لأمر الخالق ؟ أم أن إبليس ليس من الملائكة ؟ وكيف تفسر فعلة هاروت وماروت، من تعليم الناس السحر أو أم أنهما ليسا ملكين أيضاً .

أجمع المسلمون على أن الملائكة مؤمنون فضلا عن أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء فى العصمة أما عصمة غير المرسلين فهم ما إفترقوا فى شأنهم فريقين الفريق الأول : وهم القائلون بالعصمة المطلقة لجميعهم .

الفريق الثانى :
القائلون بأن العصمة ليست مطلقة لجميعهم .

ذهب الفريق الأول إلى عصمتهم جميعاً عن المعاص فقالوا : إن الملائكة **وحدهم هم** الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم ، فالله تعالى لم يخلق منهم معصية

---

(١) الحج : ٧٥
(٢) الشعراء : ١٩٢ ، ١٩٥
النبوة فى الفكر الاسلامى رسالة دكتوراه للمؤلف

مكتبة المهتدين الإسلامية

إصلاً ، واحتجوا بآيات رأوا فيها دلالة على عصمتهم مثل قوله تعالى : ﴿ **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **ومَنْ عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستخسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون** ﴾ إذ يعلم منه أنهم لا يعصون وإلا حصل الفتور فى التسبيح .

وقوله : ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم** ﴾ أى فلا يعصونه « ويفعلون ما يؤمرون » وقوله تعالى : ﴿ **وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لمن الصافون وإنا لنحن المسبحون** ﴾ .

هذا ما ارتآه الزمخشرى وابن حزم وذهب إليه الرازى فقد رأى فى قوله تعالى ﴿ **وهم من خشية ربهم مشفقون** ﴾ دلاله على أن الملائكة معصومون لأنه قال : وهم بأمره يعملون » .

وإحتج الفريق الثانى بما حكاه الله تعالى عن الملائكة نحو قولهم حين أخبرهم بأمر استخلاف آدم : « أتجعل فيها من يفسد ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » فقالوا : (إن فى قولهم هذا معصية من أربعة وجوه) :

أولها : « فيه غيبة لمن يجعله الله خليفة » .

ثانيها : « العجب وتزكية النفس بذكر مناقبها » .

ثالثها : « أنهم قالوا ما قالوه من نسبة الأفساد والسفك رجماً بالظن إذ لا يليق بحكمة الله مع إرادته إعزاز نبى آدم أن يطلع أعداءهم على عيوبهم واتباع الظن فى مثله غير جائز ، لقوله تعالى ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم** ﴾ .»

رابعها : « فيه إنكار على الله فيما يفعله وهو من أعظم المعاصى[٣] » ومما احتج عليه هؤلاء أيضاً صدور المعصية من إبليس على اعتبار أنه من الملائكة وذلك بترك السجود حتى صار مطروداً ملعوناً وهو من الملائكة بدليل استثنائه منهم فى قوله : ﴿ **فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس** ﴾[٤] .

غير أن الموجبين للعصمة قالوا : إن قول الملائكة أتجعل فيها استفسار عن الحكمة من

---

(٣) الآمدى المصدر السابق ص ٤٣٧

(٤) الحجر ٣٠ ، ٣١

http://www.al-maktabeh.com

ذلك ، أو كما يقول العلامة ابن كثير « هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ولا على وجه الحسد لبنى آدم ... وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة فى ذلك[٥] .

كما أن « الغيبة إظهار مثالب المغتاب وذلك إنما يتصور لمن لا يعلمه والله تعالى عالم بجميع الأشياء ما ظهر منها وما بطن فلا غيبة هناك . وكذلك التزكية ... إظهار مناقب النفس فلا تتصور بالنسبة إلى الله سبحانه ولا رجم بالظن وقد علموا ذلك بتعليم الله[٦] .

مناط الاختلاف بعد ذلك بين الفريقين هو إبليس هل كان من الملائكة أم لا ؟ وإن لم يكن من الملائكة فأمر الملائكة بالسجود كيف يتناوله ؟

اعتبره المقيدون للعصمة ملكا ومن ثم رتبوا على ذلك إمكان صدور المعصية من الملائكة . أما المثبتون لها فينفون كونه ملكا . فذهب القاضى عياض صاحب الشفا والزمخشرى صاحب الكشاف إلى اعتبار إبليس أبا للجن كما أن آدم أبا للإنس .

كما أن الاستثناء فى قوله تعالى : إلا إبليس « استثناء متصل لأنه كان جنيا واحد بين أظهر الألوف من الملائكة مغموراً بهم فغلبوا عليه فى قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحداً منهم ... ﴿ فكان من الجن ففسق من أمر ربه ﴾[٧] بمعنى أن الله تعالى حينما أمر الملائكة بالسجود لآدم دخل إبليس فى خطابهم فهو « وإن لم يكن من عنصرهم إلا أنه تشبه بهم وتوسم بأفعالهم فلهذا دخل فى الخطاب لهم وذم فى مخالفة الأمر[٨] » فسجد الملائكة امتثالاً لأمر الله إلا إبليس الذى كان من الجن فقد أبى واستكبر انطلاقاً من قناعته بالتحيز العنصرى فهو يعتقد أن عنصر النار أفضل من عنصر الطين .

ولذلك اعترض ورفض بل تساءل فى استنكار « قال أأسجد لمن خلقت طيناً[٩] ... » « أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين[١٠] » .

وعلى هذا ذهب الإمامية ـــ مع قولهم بعد ذلك بأفضلية الأنبياء على الملائكة ـــ والحسن البصرى والبلخى ـــ واستدلوا على صحة ما ذهبوا إليه بأشياء :

---

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم حـ ١ ص ٦٩
(٦) الأيجى : المصدر السابق
(٧) الكهف : ٥٠
(٨) ابن كثير : المصدر السابق ص ٧٧
(٩) الأسراء : ٦١
(١٠) الأعراف : ١٢

مكتبة المهتدين الإسلامية

أحدها : قوله تعالى : ﴿ **ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾[١١] . (فنفى المعصية عنهم نفياً عاماً[١٢]) .

وثانيها : أن « إبليس له نسل وذرية، قال تعالى : ﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو** ﴾[١٣] . بينما الملائكة كما يقول الحسن البصرى لا يتناسلون ولا يطعمون ولا يشربون فضلا عن أن ابليس مخلوق من نار والملائكة من نور . « والنور غير النار بلا شك فصح أن الجن غير الملائكة والملائكة كلهم خيار مكرمون بنص القرآن والجن والإنس فيها مذموم ومحمود[١٤] .

وثالثها : قوله تعالى : ﴿ **جاعل الملائكة رسلاً** ﴾ ولا يجوز على رسول الله الكفر ولا الفسق ولو جاز عليهم الفسق لجاز عليهم الكذب وإذا جاز عليهم الكذب فإننا لا نأمن صدق وصحة ما يأتينا به الوحى ذلك أن الملائكة هم الوسطاء بين الله ورسوله فى تبليغ وحيه إليهم فلابد أن تكون الوسيلة التى قد نزل بها الوحى من الله تعالى على رسله وسيلة صحيحة جديرة بالثقة فوجب الاعتقاد بأنهم منزهون عن المعصية .

رابعها : أن الله تعالى خلق فى الملائكة قوة التمييز فقط ولذلك لم تقع منها معصية أصلاً بوجه من الوجوه[١٥] .

ثم اختلفوا بعد ذلك فى معنى قوله تعالى : ﴿ **وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنه فلا تكفر** ﴾[١٦] .

فاختلفوا أولاً فى هاروت وماروت هل هما ملكان ؟ أو إنسيان ؟ بمعنى هل هما ملكين ــ بفتح اللام ــ أم أنهما ملكين بكسرها ؟ فإذا كانا ملكين ــ بالفتح ــ فكيف يعلمان الناس والسحر والسحر كفر ؟ ثم ما موضع (ما) فى قوله تعالى ﴿ **وما يعلمان من أحد** ﴾ هل هى نافيه أم موجبه ؟

---

(١١) التحريم : ٦

(١٢) الطبرى : مجمع البيان فى تفسير القرآن .

(١٣) الكهف : ٥٠

(١٤) ابن حزم : الفصل حـ ٤ ص ٢٨

(١٥) ابن حزم : الفصل حـ ٣ ص ٣٠

(١٦) البقرة : ١٠٢

http://www.al-maktabeh.com

ذهب الحسن البصرى والقرطبى إلى أن هاروت وماروت كانا أميرين من أمراء الناس ، فقرأ : (على الملكين ــ بكسر اللام ــ على أن المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل ــ وما يعلم الملكان أحداً ينبهاه ويقولان له (إنما نحن فتنة) أي اختبار وابتلاء من الله تعالى . (فلا تكفر) فلا تتعلم معتقداً أنه حق فتكفر[١٧] .

وقيل أيضا أنهما ملكان أهبطهما الله تعالى إلى الأرض على صورة الإنس لئلا ينفر الناس منهما إذا كانا على صورة الملائكة ... إنما كانا محنة القيا إلى المكلفين أمراً لينزجروا عنه وليمتنعوا من مواقعته وهم إذا عرفوه أمكن أن يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يطلعانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض من إلقائه إليك فإنه إنما ألقى إليك لتجتنبه لا لتفعله . ولا يكون على هذا التأويل تعلم السحر كفراً ومعصية كما أن من عرف الاثم لم يأثم وإنما يأثم بالعمل .

ومع وجاهة هذا الرأى فالعلم بالشيء ليس كفعله ، فمعرفة الكفر وأساليبه ودروبه تحوطا من الوقوع فيه ليس كفراً ، إلا أن ابن حزم اعترض أن ينزل السحر على الملائكة أساسا مستدلا بقوله تعالى : ﴿ **ما نزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين** ﴾[١٨] . فقطع الله عز وجل أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق[١٩] . وليس السحر[٢٠] من الحق بل كل ذلك من الباطل ونحن نشهد بأن الملائكة ما نزلت قط بشيء من هذه الفواحش والباطل وإذا لم تنزل به فقد بطل أن تفعله ، فضلاً عن أن الملائكة رسل الله عز وجل بنص القرآن والرسل معصومون .

أما ابن جرير فقد فسر الآية على النحو التالى : (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) من السحر وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ، فيكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر . الذى معناه المقدم ... فان قال قائل : كيف وجه تقديم ذلك ؟ قيل : وجه تقديمه أن يقال : (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر وما كفر سليمان وما أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت . فيكون معنيا بالملكين جبريل وميكائيل لأن سحرة اليهود كانت تقول : أن

---

(١٧) الزمخشرى : الكشاف حـ ١ ص ٦٩ وابن كثير حـ ١ ص ١٣٧

(١٨) الحجر : ٨

(١٩) ابن حزم : الفصل حـ ٤ ص ٢٦

(٢٠) سنخصص إن شاء الله بحثا مستقبلاً عن معجزات الانبياء والفرق بين المعجزة والسحر وبين المعجزة والكرامات .

مكتبة المهتدين الإسلامية

الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان ابن داود فأكذبهم الله تعالى بذلك وأخبر نبيه محمد ﷺ أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر وبرأ سليمان مما نحلوه من السحر وأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين وأنها تعلم الناس ذلك ببابل وأن الذين يعلمونهم ذلك رجلان اسم أحدهما هاروت واسم الآخر ماروت فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة عن الناس ورداً عليهم(٢١) .

يتفق ابن جرير إذاً مع كل من الحسن البصرى والقرطبى فى كون هاروت وماروت إنسين وليسا ملكين أهبطا من السماء . غير أن الإمام ابن كثير يحاول الجمع بين الرأيين السابقين ـــ أعنى أنه يحاول التوفيق بين القول بأنهما من الملائكة والقول بعصمة الملائكة ، فيقول : « وعلى هذا فيكون الجمع بين هذا وبين ما ورد من الدلائل على عصمة الملائكة أن هذين سبق فى علم الله لهما هذا فيكون تخصيصاً لهما فلا تعارض حينئذ(٢٢) .

اتضح إذن وجود الملائكة وأنهم خلق من خلائق الله تعالى وأنهم ليسوا القوى الفكرية أو الهواجس النفسية وأنهم معصومون ، فعلى أصح الأقوال فإن (ما) فى الآية نافية ولفظ الملكين هنا وارد حسب العرف الجارى بين الناس آنذاك ما يرد ذلك آلهة الخير والشر فى كتابات المؤلفين من تاريخ اليونان والمصريين . وقد يكون المراد بالشياطين المذكورين قبل ذلك فى قوله تعالى : ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين** ﴾ أنهم شياطين الإنس أى خبثاء الأنس وأشرهم كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ **وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم...** ﴾(٢٣) وقوله تعالى : ﴿ ... **شياطين الأنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون** ﴾(٢٤) .

أما ما روى فى ابتلائهما فإن هذه الأخبار لم يرو فيها شىء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ هذه الأخبار من كتب اليهود كما أخبر الله تعالى عن افترائهم على سليمان وتكفيرهم إياه وقد تطورت القصة إلى شنائع عظيمة .

والحقيقة التى لا تغيب عن أحد من العقلاء أنه منذ البعثة المحمدية وتفجر معينها من

---

(٢١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ١٣٦ ـــ ١٣٧ .
(٢٢) ابن كثير : المصدر السابق
(٢٣) البقرة : من الآية ١٤
(٢٤) الانعام من الآية ١١٢

http://www.al-maktabeh.com

جبال مكة واليهود يكيدون للإسلام كيدا ويدخلون فى كتب التفسير حكايات لا يقبلها عقل صحيح ولا يصدقها الشرع الإلهى .

ويبدو أن الذى مكنهم من ذلك تظاهرهم بالإسلام ، من ذلك ما افتروه على هاروت وماروت من أنهما ملكان أختبرهما الله تعالى فركب فيهما الغرائر الطبيعية فشربا الخمر وسفكا الدماء فكان عاقبة أمرهما أن انتقم الله منهما فعلقا من شعورهما فى بئر ببابل ، ولا يزالون فى هذا العذاب والهم الدائم حتى تأتيهم الساعة . وهذا قول على الله تعالى بغير علم وحط من قدر الملائكة : جند الله تعالى والأمناء على الوحى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

والتحقيق أنهما — كما مر — ملكان أرسلهما الله تعالى بعد أن ألهمهما السحر أو هما شخصان من الإنس تعلما السحر لاتقائه واتخاذ الحذر منه لا ليعملا به وامتحانا للناس وما يعلمان من أحد من الناس حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولا له : إنما نحن ابتلاء وامتحان فمن عمل بما تعلم منا كفر ومن لم يعمل به سلم ونجا من شره .

ملائكة الرحمة إذا لم يسلموا من افتراءات اليهود ، فهاروت وماروت عصيا الله وشربا الخمر كما أن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، فقد جاء فى رسالة بطرس : « الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل فى سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم وهم محروسين للقضاء[٢٥] » .

وزعم يهوذا أن من الملائكة من يعصى الله ويتصرف وفق هواه لذلك فهو فى العذاب المهين حتى يوم الدين . الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا سكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام[٢٦] » .

أما بولس فقد زعم هو الآخر أنه سيدين ملائكة ويحكمهم وما هذا إلا لأخطائهم : « ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم ... الستم تعلمون أننا سندين ملائكة فبالأولى أمور هذه الحياة[٢٧] » .

---

(٢٥) رسالة بطرس ٢ : ٤

(٢٦) رسالة يهوذا ١ ٦

(٢٧) رسالة بولس الى أهل كورنثوس ٦ : ٢ — ٣

مكتبة المهتدين الإسلامية

بين الملائكة والأنبياء

وترتب على موضوع إطلاق العصمة للملائكة أو تقييدها مشكلة التفضيل بينهم وبين الأنبياء . بمعنى أيهما أفضل الأنبياء أم الملائكة فإذا كان الملائكة أفضل فهل كل الملائكة أم رؤساؤهم فقط ؟ وإذا كان الأنبياء يفضلون الملائكة فهل كلهم أم الملائكة السفلية دون العلوية أى عامتهم دون خاصتهم ؟ والأنبياء بشر فهل البشر أفضل من الملائكة ؟ وإذا كان ذلك كذلك فهل المراد بالبشر عوامهم أو مما فيهم من مشاق وغيرهم ؟ وهل للمعصية دخل فى التفضيل من عدمه ؟ ما المقصود بالأفضلية ؟ وهل التفضيل فى الرتبة والدرجة أم فى كثرة الثواب ؟ وهل يصح أن يكون التفضيل على وجه التنقص أم المعصية ؟

اختلف المتكلمون والمحدثون والفقهاء فى شأن المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر ، فذهب فريق منهم إلى القول بأنهم أفضل من البشر وقال فريق آخر بل صالحى البشر والأنبياء أفضل ، ومنهم من توقف أو منهم من ذهب إلى تفضيل نبينا محمد ﷺ خاصة .

القائلون بتفضيل الملائكة على الانبياء

ذهب أكثر المعتزلة وابن حزم والباقلانى من الأشاعرة والحسن بن الفضل البجلى — من أصحاب الحديث — الى أن الملائكة أفضل من كل خلق خلقه الله ثم بعدهم الرسل والنبيين ثم بعدهم الأنبياء غير الرسل ... وأفضل الرسل محمد ﷺ[٢٨] .

ويبدو أن الغزالى يوافق هذا الفريق — مخالفاً بذلك المذهب الأشعرى — حين يقول : « ... وكل موجود فمشتاق إلى الكمال الممكن له — وهو غايته المطلوبة فان ناله التحق بأفق العالم الذى هو فوقه وإن حرم منه أطرح إلى الحضيض الذى تحته . فالإنسان بين أن ينال الكمال ، فيلتحق فى القرب من الله ، بأفق الملائكة وذلك سعادته[٢٩] » فمن هذا النص يمكن الاستنتاج بأن الملائكة أفضل من البشر فى نظره ، وهذا ما استنتجه الدكتور سليمان دنيا أيضا

---

(٢٨) ابن حزم الفصل جـ ٥ ص ١٥

(٢٩) الغزالى معارج القدس ص ٨٨

http://www.al-maktabeh.com

وإستدلوا على تفضيل الملائكة بوجوه نقلية وعقلية :

الوجوه النقلية :

أولها : قوله تعالى : ﴿ **قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى ...** ﴾[٣٠] .

استخدم الزمخشرى هذه الآية للتدليل على صحة القاعدة المعتزلية فى تفضيل الملائكة على الأنبياء ، فقال عندها : قل ﴿ **لا أدعى أنى من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقهم الله تعالى وأفضله وأقربه منزلة منه أى لم أدع إلهية ولا ملكية لأنه ليس بعد الإلهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة ... وإنما أدعى ماكان مثله لكثير من البشر وهو النبوة** ﴾[٣١] ولكن هل يمكن إدراج الإلهية ضمن المنازل حتى تليها الملائكة ؟

كما أن الله تعالى « ذكر محمداً ﷺ ــ فى موضع آخر ــ الذى هو أفضل الرسل بعد الملائكة وذكر جبريل ﷺ وكان التباين من الله عز وجل بينهما تباينا بعيداً وهو أنه عزو وجل قال : ﴿ **إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين** ﴾[٣٢] . فهذه صفة جبريل ﷺ ثم ذكر محمدا ﷺ فقال : ﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾ ثم زاد تعالى بياناً رافعاً الأشكال جملة فقال : ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾ . فعظم من شأن أكرم الأنبياء والرسل بأن رأى جبيرل ﷺ[٣٣] .

ثانيها : اعتلوا أيضا بقوله تعالى : ﴿ **ويستغفرون للذين آمنوا ...** ﴾[٣٤] . فى إثبات أن الملك أفضل من البشر فقالوا : هذه الآية تدل على أن الملائكة لما فرغوا من ذكر الله بالثناء والتقديس اشتغلوا بالاستغفار لغيرهم من المؤمنين ... وهذا يدل على أنهم مستغنون عن الاستغفار لأنفسهم إذ لو كانوا محتاجين إليه لقدموا الاستغفار لأنفسهم على الاستغفار لغيرهم .

---

(٣٠) ابن حزم : الفصل .. حـ ٥ ص ١٥

(٣١) الانعام : من الآية ٥٠

(٣٢) الزمخشرى : الكشاف حـ ١ ص ٢٩٤

(٣٣) الذكور : ١٩ ــ ٢١

(٣٤) غافر : من الآية ٧

مكتبة المهتدين الإسلامية

ثالثها قوله عز وجل ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ﴾[٣٥] . يقول الحاكم الجشمي ــ الزيدى ــ عند هده الآية معلوم من سياق هذا الكلام أن ما بعد (لا) يكون أفضل من المذكور قبلها ، كذلك قوله تعالى : ﴿ إنى ملك ﴾ مما يدل على عظم حالهم وعلى أفضليتهم .

واللغة تجيز ذلك فقد ثبت أن المعطوف أفضل من المعطوف عليه كما يقال لا يستنكف الوزير عن خدمة فلان ولا السلطان ولا يجوز أن يعكس أى أنه لا يجوز القول : لن يستنكف السلطان أن يكون خادماً لفلان ولا الوزير فإذا ثبت تفضيل الملائكة على عيسى ﷺ ثبت فى حق غيره من الأنبياء .

رابعها : قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجد لآدم فسجدوا إلا إبليس ... ﴾[٣٦] . يستخدم ابن حزم هذه الآية آستخداماً بارعاً للتدليل على أفضلية الملائكة فاسجاد الله تعالى للملائكة كان « تحية وكرامة ... بلا خلاف من أحد من الناس » وعلى ذلك « فلا دليل أدل على فضل الملائكة على آدم من أن يكون الله تعالى بلغ الغاية فى إعظامه وكرامته بأن تحييه الملائكة لأنهم لو كانوا دونه لم يكن له كرامة ولا مزية فى تحيتهم له[٣٧] .

كما فى سجود يعقوب ليوسف فليس فيه « ما يوجب أن يوسف أفضل من يعقوب[٣٨] » . فإن اعترض معترض بأن إسجاد الملائكة لو لم يكن تفضيلا لآدم لما اقتنع إبليس واستكبر . أجاب الجبائى وأبو القاسم البلخى أن الله تعالى ــ جعله قبلة لهم فأمرهم بالسجود إلى قبلتهم وفيه ضرب من التعظيم .

فضلا عن أن السجود الخاص بالملائكة أو سجود الملائكة كان امتثالاً لأمر الله تعالى وانقياداً وطاعة له وتكريماً لآدم ، ولكن هل يلزم عن هذا التكريم أفضلية ؟ إن سجود يعقوب لابنه ﷺ لا يلزم عنه تفضيل يوسف عليه . كما أن المسلمين يسجدون أمام الكعبة إمتثالاً لأمر ربنا فهل يلزم عن ذلك تفضيل الكعبة علينا ؟

« الحديث الصحيح يقول فيما معناه »

---

(٣٥) المائدة ٢٧٢

(٣٦) البقرة ٣٤

(٣٧) ابن حزم الفصل جـ ٥ ص ١٦

(٣٨) ابن حزم مصدر السابق

http://www.al-maktabeh.com

خامسها: لقوله تعالى : ﴿ **رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً . يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً** ﴾[٣٩] . ففى هاتين الآيتين استدلال من الله تعالى على عظمته « بكونه إله السموات والأرض وما بينهما ... ولولا أن الملائكة أعظم المخلوقات وإلا لما صح هذا الترتيب[٤٠] . ويستطرد الرازى فى تأييد ما ذهب إليه فيرى أن ربنا عز وجل يؤكد هذا فى آية أخرى حيث يقول : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله** ﴾[٤١] . وهذا هو الترتيب الصحيح إلاله هذا الموجود الأشرف ويتلوه فى درجته الملائكة ثم إن الملك يأخذ الكتاب من الله تعالى ويوصله إلى الرسول وهذا يقتضى أن يكون الترتيب هكذا .

الاله والملك والكتاب والرسول ... وهذا يدل على شرف الملك على البشر . استدل الرازى بأفضلية المعَلِم على المعلَم على اعتبار أن الملك يكون معلماً للرسول فضلاً على ترتيب الرسول كما ورد فى الآية .

أما الجاحظ فإنه يتخذ من أسبقية خلق الملائكة ذريعة لتفضيلهم « فجبريل وميكائيل وإسرائيل عند الله من المقربين قبل خلق آدم بدهر طويل كما ملَّك الله طالوت على بنى إسرائيل ومنهم يومئذ داود النبى ﷺ وهو نبيهم الذى أخبر عنه القرآن ﴿ **وقال لهم نبيهم أن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً** ﴾[٤٢] .

ولكن كيف يستدل الجاحظ[٤٣] بهذه الآية (٢٤٧ من البقرة) ؟ مع أن جميع المفسرين كالقرطبى[٤٤] وابن كثير والزمخشرى على أن طالوت هذا رجل من فقراء بنى اسرائيل وليس ملكا لذلك قلوا : أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال » . ؟

سادساً : أنهم لا يعصون الله بينما المعصية جائزة على البشر . يقول الحاكم الجشمى : والذى

---

(٣٩) النبأ : ٣٧ ــ ٣٨

(٤٠) الرازى : معالم أصول الدين

(٤١) البقرة : من الآية ٢٨٥

(٤٢) البقرة : من الآية ٢٤٧

(٤٣) الجاحظ : حجة النبوة بهامش الكامل للمبرد

(٤٤) القرطبى : الجامع لاحكام القرآن ص ١٠٥٣

مكتبة المهتدين الإسلامية

يدل على أفضليتهم كذلك أنهم لا يعصون الله ما أمرهم وأنهم يفعلون ما يؤمرون وأنهم معصومون وعلى طاعة الله دوماً ملتزمون بينما الذنب والمعصية على بنى آدم جائزتان .

هذا طرف من الأدلة النقلية التى استدل بها أصحاب تفضيل الملائكة ، أما أدلتهم العقلية فإنها تشبه آراء الفلاسفة وأدلتهم فى هذا الصدد لذلك أرجىء الحديث عنها إلى حين الكلام عن رأى الفلاسفة بشأن الملائكة .

وقبل الانتقال إلى موقف القائلين بأفضلية الأنبياء فإنى ألاحظ ملاحظة ابن حزم من قبل على الموقف المعتزلى من أفضلية الملائكة .

فمع قولهم إن الملائكة أفضل من الأنبياء فإنهم قالوا : « أن دخول الجنة على وجه الجزاء على العمل أعلى درجة وأسنى مرتبة من دخولها بالتفضيل المجرد وهذا تناقض بيِّن لأنه على هذا تكون نحن أفضل من الملائكة بدرجة ولكن يبدو أن الزمخشرى قد تنبه لمثل هذا الاعتراض ، فقال : إن فى قوله تعالى : ﴿ ولله يسجد مافى السموات وما فى الأرض من دابه والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾[٤٥] . دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهى والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم بين الخوف والرجاء[٤٦] .

وطبقاً لقولة الزمخشرى ـــ مع غرابتها ـــ يكون بدء التفضيل التكليف . فهم يدخلون الجنة ثواباً على أعمالهم فضلاً عن طاعتهم المطلقة .

وإذا كان الملائكة مكلفين فهم مختارون ويبدو أن المعتزلة ساووا بين الملائكة وغيرهم من عباد الله فطبقوا عليهم ـــ لأنهم مكلفون ـــ قانون الاختيار والاستطاعة المكفولين للمكلف ، فالله عز وجل « ركب الاستطاعة فى عباده وجعلها فى جميع خلقه المأمورين المميزين منهم الملائكة المقربون عليهم السلام . ثم أمرهم ونهاهم من بعد أن أوجد فيهم ما أوجده فى غيرهم من الاستطاعة الكاملة والنعمة الشاملة ، وأمرهم ونهاهم ولولا ما ركب فيهم من الاستطاعة لما جرى أمره عليهم[٤٦] .

---

(٤٥) الزمخشرى : الكشاف حـ ١ ص ٥٢٨ الطبعة الأولى

(٤٦) يحى بن الحسين : كتاب الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحقضبن فمن رسائل العدل والتوحيد حـ ٢ ص ٢٩٩ . دار الهلال . تحقيق د. محمد عماره .

http://www.al-maktabeh.com

وهكذا يقيس المعتزلة الملائكة على الإنسان فحكموا بإرادتهم ومشيئتهم واستطاعتهم وان اكدوا على « براءتهم وإنفاذهم لكل ما أمرهم به ربهم » .

القائلون بأفضلية الأنبياء

اختلف أصحاب هذا الرأى ، فمنهم من ذهب إلى تفضيل البشر على الملائكة مطلقاً ، ومنهم من ميز بين رؤساء الملائكة والملائكة ، فقالوا الذى يلى الأنبياء فى الرتبة والفضل رؤساء الملائكة بينما عوام الملائكة أفضل من عوام البشر .

ذهب جمهور الأشاعرة إلى تفضيل « الأنبياء على الملائكة وأجاز بعضهم أن يكون فى المؤمنين من هو أفضل من الملائكة »[٤٧] . غير أنهم لا يقولون « فى أحد من الأنبياء أنه أفضل من الملائكة بأجمعها وإن قالوا فيه أنه أفضل من كل واحد منهم . كما لا يقولون فى النبى ﷺ أنه أعلم من جميع الملائكة وإن كان جائزا أن يكون أعلم من كل واحد منهم »[٤٧] . فلا النبى أفضل بالإطلاق ولا الملائكة أقل علماً من النبى ، هكذا منهج الأشاعرة ، منهج وسط يجمع بين الأطراف المتباعدة . وقد شذ (الأصم) عن أصحابه من المعتزلة وانحاز إلى أهل السنة القائلين بأفضلية الأنبياء فذهب إلى القول : إن من أتى معصية كهاروت وماروت فإن الأنبياء أفضل منهم .

أنكر المعتزلة أن يكون هاروت وماروت وإبليس من الملائكة لذلك أجمعوا على عصمتهم ومن ثم أفضليتهم على الأنبياء ولما رأى الأصم غير ذلك . فرآهم أفسدوا وعصوا فضل الأنبياء على هؤلاء العصاه بينما ذهب الإمامية إلى اعتبار الأنبياء أفضل .

استدل أصحاب هذا الرأى على أفضلية الأنبياء على الملائكة بوجوه أربعة :

الأول : الأمر الإلهى للملائكة بالسجود لآدم رأى الإمامية أنه كان على وجه التكريم لآدم والتعظيم لشأنه وتقديمه عليهم ، وإختاره (على بن عيسى الرمانى) ولهذا جعلوا هذه دالة على أن الأنبياء أفضل من الملائكة من حيث أنه أمرهم بالسجود لآدم وذلك يقتضى تعظيمه وتفضيله عليهم وإذا كان المفضول لا يجوز تقديمه على الفاضل علمنا أنه أفضل من الملائكة »[٤٨] .

---

(٤٧) البغدادى : أصول الدين ص ٢٩٥ ، والانتصاف لابن العماد حـ ١ ص ٢٤١ طبعة أولى بهامش الكشاف .
(٤٨) الطبرسى : مجمع البيان مجلد ١ ص ٣٣

مكتبة المهتدين الإسلامية

وذهب الحلفاء ــ كما سماهم الشهرستانى ــ فى تقرير هذا المذهب إلى أن لله تعالى سنتين فى خلقه وأمره ، والسنة الأمرية أقدم وأسبق من السنة الخلقية . وقد أطلع خواص عباده من البشر على السنتين . ﴿ **ولن تجد لسنة الله تحويلا** ﴾[٤٩] هذا من جهة الخلق ﴿ **ولن تجد لسنة الله تبديلاً** ﴾[٤٩] . هذا من جهة الأمر . فالأنبياء ﷺ متوسطون فى تقرير سنة الخلق . والأمر أشرف من الخلق . فمتوسط الأمر أشرف من متوسط الخلق . فالأنبياء ﷺ أشرف من الملائكة ... كما أن السجود لآدم ﷺ أفضل من التسبيح والتمجيد والتقديس .

الثانى : إن للإنسان « عوائق عن العبادة من شهوته وغضبه وحاجاته الشاغلة لأوقاته وليس للملائكة شىء من ذلك ولاشك أن العبادة مع هذه العوائق أدخل فى الإخلاص وأشق فتكون أفضل لقوله ﷺ : ﴿ **أفضل الأعمال احمزها ــ أى أشقها ــ فيكون صاحبها أكثر ثواباً عليها** ﴾ .

بمعنى أن الملائكة عقول أو هم عقول مجردة لا شهوة لهم بينما الأنبياء ــ كبشر ــ لهم طبيعة مزدوجة ، أى عقول وشهوة ، فلما أخذوا أنفسهم وحالوا بينها وبين ميلها إلى الطباع كانوا أفضل ، أو كما يقول الشهرستانى على لسان الحلفاء فى مواجهة الصالحية ، إن الكمال ليس فى فقدان الروحانيين قوتى الغضب والشهوة وإنما الكمال فى استخدامها ، أما حكم العنين العاجز فى امتناعه عن تنفيذ الشهوة لا يكون حكم المتصون الزاهد المتورع فى إمساكه عن قضاء الوطر مع القدرة عليه ، فان الأول ــ الملك ــ مضطر عاجز ــ والثانى ــ النبى ــ مختار قادر ، حسن الاختيار وجميل التصرف وليس الكمال والشرف فى ترك القوتين وإنما الكمال كله فى استخدام القوتين فالملائكة مجبولون على الطاعة فلا تجد المعصية إليهم سبيلاً ، فلم تتهيأ لهم أسبابها .

الثالث : لم يعلم الملائكة الأسماء إلا بعد أن أنبأهم بها آدم ﷺ . لقوله تعالى : ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾[٥٠] . بمعنى أن آدم علم الأسماء كلها ولم يعلموها والعلم أفضل من غيره لأن الآية سيقت لذلك ، ولقوله ﴿ **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾[٥١] . وهذا تكريم لآدم فى أعلى صوره ، فمع أنه

---

(٤٩) فاطر : ٤٢

(٥٠) البقرة : ٣١

(٥١) الزمر : ٩

http://www.al-maktabeh.com

يفسد فى الأرض وسفك الدماء إلا أن الله تعالى وهبه الأسرار بما يرفعه فوق الملائكة وذلك بتعليمه الأسماء أو تعليمه سر المعرفة التى جهلها الملائكة .

وإن كان (ابن حزم) يدفع ذلك مستدلاً بقوله رسول الله ﷺ « إن الخضر قال لموسى ﷺ : إنى على علم من علم الله لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله لا أعلمه أنا »(٥٢) . فاستدل(صاحب الفصل) على أن ليس فى هذا أن الخضر أفضل من موسى ﷺ غير أن هذا الحديث يدل على أنهما متساويان فى العلم اللدنى ، وإذا كان العلم معيار التفضيل فموسى ﷺ والخضر فى الفضل ــ طبقا لهذا الحديث فقط ــ سواء ، ومن ثم فليس لابن حزم الإستدلال به .

الرابع : تمسك بعض المعتزلة بقوله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾(٥٣) . فى أنه ﷺ أفضل من الملائكة ، قالوا . لأن الملائكة من العالمين فوجب بحكم هذه الآية أن يكون ﷺ رحمة للملائكة فوجب أن يكون أفضل منهم .

ومع أن (الرازى) يتفق مع هذا الفريق من المعتزلة إلا أنه يرفض الاستدلال بهذه الآية لأنه معارض بقوله تعالى فى حق الملائكة « ويستغفرون للذين آمنوا »(٥٤) وذلك رحمة منهم فى حق المؤمن والرسول ﷺ داخل فى المؤمنين . وكذا قوله ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي** ﴾(٥٥) .

وفى تفسير آخر لقاعدة تفضيل الأنبياء يذهب (ابن تيمية) إلى اعتبار مآلهم فى الدار الآخرة ، فعنده لا تصح المقارنة بين الأنبياء فى الدنيا والملائكة . يرد (ابن تيمية) أولاً على الذين فضلوا الملائكة على الأنبياء والصالحين ، فيقول : « ... ولو أنهم اعتبروا حال الأنبياء والصالحين بعد دخول الجنان ورضى الرحمن وذوال كل ما فيه نقص وملام وحصول كل ما فيه رحمة وسلام حتى استقر بهم القرار ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴿ **سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** ﴾ فإذا اعتبرت تلك الحال ظهر فضلها على حال غيرهم من المخلوقين ... فلا يجوز أن يعتبر حال أحدهم قبل الكمال ... والبراءه من

---

(٥٢) ابن الحزم : الفصل حـ ٥ ص ١٧
(٥٣) الأنبياء : ١٠٧
(٥٤) غافر : من الآية ٧
(٥٥) الأحزاب : ٥٦

مكتبة المهتدين الإسلامية

النقائض والعيوب »[٥٦] فلا يظهر فضل الأنبياء على الملائكة إلا بإعتبار مآلهم « عند حصول الكمال » فى الجنة . وتبدو وجاهة رأى ابن تيمية حيث إن المقارنة ينبغى أن تكون بين متماثلين ، أما وقد صار الأنبياء والملائكة متماثلين فى الدار الآخرة ، فضلا عما تميز به صالحوا البشر من صبر ومجاهدة فى الدنيا ، فقد فضلوا الملائكة فى هذا .

---

(٥٦) ابن تيمية : الفتاوى الكبرى حـ ٢ ص ٣٤٠

http://www.al-maktabeh.com

خاتمــة :

الملائكة معصومون فى مذهب من اعتبر إبليس من الجن وليس من الملائكة وليست عصمتهم مطلقة عند من عده منهم لشمول خطاب الله تعالى لهم .

أما ما أثاره العلماء حول التفضيل بين الملائكة والأنبياء ورؤية كل فريق لآيات الكتاب المبين بما يؤيد ما ذهب إليه فإنى أوافق على ما ذهب إليه هذا الفريق من المتكلمين والمحدثين الذين يعتقدون افضلية الأنبياء على الملائكة لأن الإنسان بطبيعته به حظ من البهيمية ، ثم إن من غلب طبيعتة عقله فهو شر من البهائم لقوله تعالى : ﴿ ... **كالأنعام بل هم أضل** ﴾ وذلك يقتضى بطريقة قياس أحد الجانبين على الآخر أن يكون من غلب عقله طبيعته خيراً من الملائكة لأنه كبح جماح نفسه وانتهى به الأمر إلى الطاعة ﴿ **فأما من ~~أعطى واتقى~~ ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى** ﴾ .

إن من يكون النصر حليفه فى ساحة القتال خير من أن يمنح النصر منحاً .

بل إن الإمام ابن القيم يعتبر أن من غلّب عقله شهوته من البشر المؤمنين كان خيراً من الملائكة ، فالله تعالى فاوت بين البشر فى العلم فجعل عالمهم معلم الملائكة . كما قال تعالى : ﴿ **يا آدم انبئهم بأسمائهم** ﴾ وتلك مرتبة لا مرتبة فوقها وجعل جاهلهم بحيث لا يرضى الشيطان به ولا يصلح له كما قال الشيطان لجاهلهم الذى أطاعه فى الكفر إنى برىء منك .

مكتبة المهتدين الإسلامية

الخلاصـــــة

اجتمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون من الخطأ والزلل .

الدين منقول عن الله تعالى بواسطة رسله الذين أرسلهم لعباده ، وما على الرسول إلا البلاغ ، وما عليه إلا أن يبلغ ما أنزل إليه من ربه . يشهد بذلك قوله تعالى : ﴿ **قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى** ﴾ .

لذلك اجتمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون من الخطأ والزلل .

ويمكن حصر آراء علماء الأمة الإسلامية فى ثلاثة آراء :

الأول : جوز عليهم الصغائر قبل النبوة لأن الناس ليسوا مأمورين باتباعهم قبلها فالاتباع والاقتداء إنما يكون بعد التكليف .

الثانى : قال بعصمتهم قبل النبوة وبعدها إلا ما كان على سبيل السهو أما ما يخبرون به عن الله تعالى فإنهم معصومون منه .

الثالث : قال بالعصمة المطلقة من أول العمر الى آخره ولم يجوز عليهم سهواً ولا نسياناً .

غير أنهم متفقون على حمل الآيات التي يدل ظاهرها على وقوع المعاصى من الأنبياء على وجوه ثلاثة :

أولها : أنها فعل خلاف الأول .

ثانيها : انها قد تكون خطأ فى الاجتهاد .

ثالثها : وعلى فرض أنها ذنوب فإنهم لا يعرفون أنها كذلك لأنهم يتناولون الخير وهم لا يدرون أنهم عاصون بذلك . بل يظنون أنهم يطيعون الله تعالى ويفعلون الأولى .

أما العصمة فيما يبلغونه عن الله فإنها ثابتة فلا يستقر فى ذلك خطأ باتفاق المسلمين . لأنه لا يعقل بحال من الأحوال أن يكون الرسول كذاباً إذ أن الكذاب لا يصدق فى الأمور العادية فضلاً عن الرسالة النبوية .

كما أنه ليس من المعقول أن يدعو الرسول إلى شيء ويكون سلوكه مخالفاً لما يدعو إليه فهو يدعو إلى طاعة الله وحده فليس من المعقول أن يعصيه ، فينبغى إذن أن يكون مظهراً

http://www.al-maktabeh.com

كاملاً للطاعة لترك المعصية .

وفى هذا رد على أهل الكتاب ـــ إذا جازت هذه التسمية ـــ الذين أجازوا عليهم الكفر والفسق والفجور بل جعلوا منهم قادة وزعماء للرذيلة .

ولما كانت هناك علاقة وطيدة لاتنفك بين الأنبياء والرسل من ناحية وبين الأنبياء والملائكة من ناحية أخرى .

والملائكة مؤمنون فضلاء بإجماع الأمة ـــ فانه حكم المرسلين منهم حكمه النبيين والمرسلين سواء فى العصمة .

هذا : وبعد أن أصدرنا ـــ بعون الله تعالى ـــ الجزء الأول من سلسلة « النبوة فى الفكر الإسلامى » والمعنون بـ « نبوة محمد ﷺ » ، فان هذا هو الجزء الثانى « عصمة الأنبياء » ـــ من هذه السلسلة .

إننا نأمل ونرجوه تعالى التوفيق والعون على إصدار الجزء الثالث . « الوحى أشكاله ومراتبه ووسائله » .

وبعد : هذا ما يسر الله تعالى لى ، فإن كان صواباً فهو محض فضل الله تعالى وإن كان فيه خطأ فمن نفسى .

وصلى الله تعالى على محمد خاتم النبيين

مكتبة المهتدين الإسلامية

يصدر قريباً

النفع والضر

هل ينفع المسلم بعبادة غيره وهل يضار بمعصيته ؟

عبد العزيز البرماوى

http://www.al-maktabeh.com

فهرس الموضوعات

- مقدمة ٥
- الفصل الأول : مفهوم العصمة وحدودها ٧
  - صفات الأنبياء ٩
  - نبوة المرأة ١٢
  - فحوى العصمة ١٤
  - من يفعل العصمة بالمعصوم ١٦
  - هل العصمة قبل البعثة أم بعدها ١٨
  - أدلة وجوب العصمة ٢٤
    - ا ـ أدلة نقلية ٢٤
    - ب ـ أدلة عقلية ٢٦
- الفصل الثانى : شبهات حول العصمة ٢٩
  - عصمة آدم عليه السلام ٣١
  - عصمة نوح عليه السلام ٣٣
  - عصمة أبراهيم عليه السلام ٣٤
  - عصمة يوسف عليه السلام ٣٦
  - عصمة موسى عليه السلام ٣٩
  - عصمة داود عليه السلام ٤٠
  - عصمة النبى الخاتم ﷺ ٤٢
- الفصل الثالث : موقف اليهود والنصارى فى عصمة الأنبياء ٤٩
  - موقفهم من : لوط ـ داود ـ سليمان ـ نوح ٥١
  - نبوة المسيح ٥٤
  - شهادة مسيحى منصف ٥٥
  - مقارنة بين أقوال الهنود والوثنيين فى بوذا ابن الله وأقوال النصارى والمسيحيين فى المسيح ابن الله ٥٦
  - تعقيب ٥٧

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

مكتبة المهتدين الإسلامية

- الفصل الرابع : عصمة الملائكة ٥٩

١ ــ هل الملائكة معصمون ٦١

ــ ما معنى سؤالهم الله تعالى حين خلق آدم

ــ ما معنى أن يرفض إبليس السجود لآدم

ــ تفسير فعلة هاروت وماروت

٢ ــ بين الملائكة والأنبياء ٦٨

ــ أدلة القائلون بأفضلية الملائكة ٦٨

ا ــ أدلة نقلية ٦٩

ب ــ أدلة عقلية ٧٢

ــ أدلة القائلين بأفضلية الأنبياء ٧٣

٣ ــ خاتمة ٧٧

- الخلاصة ٧٨

http://www.al-maktabeh.com

صدر حديثاً

الوصية الشرعية
للتزود والاستعداد ليوم الميعاد

إعـــداد

منصـور أنـور محمـود العشماوي

غفـر الله له وللمسـلمين

al-maktabeh
www.
.com
مكتبة المهتدين

مكتبة المهتدين الإسلامية

رقم الايداع ٩٨٠٤ / ١٩٩٠

http://www.al-maktabeh.com